موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية

(٤٥)

الفضيلة

الباحث الرئيسي ورئيس الفريق العلمي
أ.د. مرزوق بن صنيتان بن تنباك

www.mtenback.com

دار رواح للنشر والتوزيع

ح مرزوق بن صنيتان بن تنباك ، ١٤٢١ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية/مرزوق بن صنيتان بن تنباك ... [أخ]. الرياض.

٥٢ ج؛ ١٧×٢٤ سم

ردمك : ٤-١٨٥-٣٨-٩٩٦٠ (مجموعة)

٣-٢٣٠-٣٨-٩٩٦٠ (ج ٤٥)

١- الأدب العربي – موسوعات أ- ابن تنباك ، مرزوق بن صنيتان (م . مشارك)

ديوي ٨١٠,٣ ٢١/٢٠٧٨

رقم الإيداع : ٢١/٢٠٧٨

ردمك : ٤-١٨٥-٣٨-٩٩٦٠ (مجموعة)

٣-٣٣٠-٣٨-٩٩٦٠ (ج ٤٥)

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
توطئة	٥
الفضيلة لغةً	٧
الفضيلة اصطلاحًا	٨
هل الفضيلة قيمة فطرية أم مكتسبة؟	٩
مظاهر الفضيلة	١١
أمهات الفضائل	١٧
الفهارس	٩٥

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فَإِذَا رُزِقْتَ خَلِيقَةً مَحْمُودَةً فَقَدِ اصْطَفَاكَ مُقَسِّمُ الأَرْزَاقِ

فَالنَّاسُ هَذَا حَظُّهُ مَالٌ وَذَا عِلْمٌ وَذَاكَ مَكَارِمُ الأَخْلَاقِ

حَافِظ إِبْرَاهِيم

www.mtenback.com

توطئة:

في مدارج المجتمع نحو الكمال، تظهر الفضيلة قيمة أخلاقية عالية، ترسي في بنيان المجتمع لبنات الحق والخير، وتسمو بنفوس الأفراد نحو الرفعة.

وقد تعددت آراء الفلاسفة وعلماء النفس والاجتماع في تعريف الفضيلة وحدّها. ولكنها تجتمع كلُّها في أنها قيمة سامية بل مكرمة من مكارم الأخلاق، يكون فيها المرء على استعداد دائم لسلوك طريق الخير مع إحساسه بالكمال في ذاته، وتحقيق السعادة لغيره مثل تطلعه الواعي إلى الحكمة والعفة والشجاعة والعدل والإيمان والرجاء والمحبة. هذا السلوك الذي يتجلّى واقعًا في دنيا الناس وعملاً محببًا في حياتهم وينأى بالمرء عن الرذيلة والمذمّة وهدم بنيان المجتمع، ويأخذ في طريق الاعتدال.

والفضيلة قيمة تتراوح بين الفطرة المغروسة في الطباع السليمة، وبين الاكتساب الذي يأتي بالتدرب والمران والرياضة على فعل الخير وتعوده، وهي في أعراف المجتمعات البشرية السليمة قيمة توجب الحمد وتستحق المدح والثناء.

وهي شيمة محمودة تحقق الرضا الأخلاقي الذي به كمال المرء في ذاته، والعربي الذي اجتذبته عبر تاريخه الطويل القيم ومكارم الأخلاق جعل ممارسة الفضائل عنوان الشرف والسؤدد، وحرص على مكارم الأخلاق جملة ومدح الفضيلة وحاول أن يجسدها واقعًا في حياته ولاشك أن الفضيلة معنى جامع لأمّهات المحاسن، وله أثره الإيجابي الكبير في حياة الفرد والمجتمع. فهو يقيم التوازن بين فئات المجتمع ويشد أواصره بحبل متين من المحبة والوئام.

ويتعطّر التاريخ العربي بسير أهل الفضل ودعاته الذين ضُرِبت بهم الأمثال.

فلما جاء الإسلام جعل الفضيلة دينًا، وليس مجرد خلق يبعث عليه طلب السُّمعة والذّكر الحسن، وأعلى منزلتها بما لا نجد له مثيلاً في المجتمعات الأخرى.

www.mtenback.com

وعن هذا الخلق خلق الفضيلة وغيرها من القيم التي تنتظم في سلكها النَّفيس، وعمَّا أثر عنها في تراثنا جاء هذا البحث الذي يحاول عرض صورٍ شتى للفضيلة معنى وممارسة عملية أثرت تأثيرها الجلي في أخلاق العرب وتعددت آراؤهم في كيفية اكتسابها، وحرصوا على أن يجعلوها أساسًا متينًا في تربيتهم السلوكية والأخلاقية.

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

الفضيلة لغة[1]:

الفضيلة في اللغة ضد النقص والنقيصة، وهي الدرجة الرفيعة في الفضل، وفي حسن الخلق.

والفاضل من الرجال: المتصف بالفضيلة، ورجل فَضَّال ومِفضال: كثير الفضل والخير والمعروف. والمفضالة من النساء: إذا كانت ذات فضل وسماحة.

والفضل: الإحسان ابتداءً بلا علة. والفواضل: الأيادي الجميلة، يقال: أفضَلَ الرجل على فلان، وتفضَّل: إذا أناله من فضله، وأحسن إليه.

وفضيلة الشيء: مزيّته أو وظيفته التي قصدت منه يقال: فضيلة السيف: إحكام القطع، وفضيلة العقل: إحكام الفكر، وفي قوله تعالى: ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[2]، قيل: تأويله أن الله تعالى فضلهم بالتمييز، وقيل: إن فضيلة ابن آدم أنه يمشي قائمًا، وأن الدواب وما أشبهها تمشي منكبة وابن آدم يتناول الطعام بيديه، وسائر الحيوان يتناوله بفيه.

وفي قوله تعالى: ﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾[3]، أي أن من كان ذا فضل في دينه، فضّله الله في الثواب، وفضّله في المنزلة في الدنيا والدين.

وأمهات الفضائل هي: «الحكمة، العفة، الشجاعة، العدل».

---

[1] ابن منظور: معجم لسان العرب، قدم له عبد الله العلايلي، تصنيف يوسف خياط، دار لسان العرب، بيروت، (د.ت)، (مادة فضل). المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية، دار عمران، القاهرة، (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م).

[2] سورة الإسراء: ٧٠.

[3] سورة هود: ٣.

www.mtenback.com

فالفضيلة في اللغة العربية تعني الزيادة، أي وفرة في النفس، وتعني أيضًا المزيّة ولهذا تطور المعنى الدلالي للفظة، وصارت كلمة الفضيلة سمة لمن امتاز بوفرة المكارم والأخلاق الحميدة في شخصه وسلوكه وعمله وعقله ودينه، فعرف بها العالم والقاضي، والمفتي، وغيرهم .

وفي اللغة اليونانية تعني الأحسن والأفضل، وفي اللاتينية تدل على الفضل والقوة البدنية والمعنوية[٤].

الفضيلة اصطلاحًا:

الفضيلة قيمة إنسانية محمودة، وهي الاستعداد الدائم لسلوك طريق الخير، أو مطابقة الأفعال الإرادية للقانون الأخلاقي، أو مجموع قواعد السلوك المعترف بقيمتها[٥].

وهي إتيان الأفعال الفاضلة لذاتها، ولما فيها من جمال أخلاقي، يبعث الراحة والرضا في النفس، بعكس الرذيلة التي تُشفع بتأنيب الضمير.وفعل الفضيلة يقوم على العلم والإرادة، فبالإرادة يحصل الاختيار، ويتم تحديد الهدف، وبالعلم نهتدي إلى الوسائل التي تحقق غرض الفضيلة، التي هي العلم بالخير والعمل به[٦].

وهي عند ابن رشد ملَكة مقدرة لكل فعل هو خير من جهة ذلك التقدير، أو يظن أنه خير، أي هي الحافظة لهذا التقدير والفاعلة له، ولذلك كانت مُوجِدَةً لكل فعل جليل القدر عظيم الشأن، يقصد به نحو غاية ما[٧].

---

[٤] بدوي، د. عبد الرحمن: الأخلاق النظرية، وكالة المطبوعات، الكويت، ط١، (١٩٧٥م)، ص١٤٢.

[٥] صليبا، د. جميل: المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، (١٩٧٩م)، ج٢، ص١٤٨.

[٦] بدوي، د. عبد الرحمن: الأخلاق النظرية، ص١٤٣.

[٧] الجوهري، معجم الصحاح في اللغة والعلوم، تقديم: الشيخ عبدالله العلايلي، إعداد: نديم مرعشلى وأسامة مرعشلى، دار الحضارة العربية، بيروت، ط١، (١٩٧٤م)، (مادة فضل) ٢٤٨/٢.

www.mtenback.com

والفضيلة لا تكون بالاسترسال مع الشهوة، والانقياد لسلطانها، ولا في العمل على استئصالها وإماتتها، وإنما تكون في إخضاعها لحكم العقل[٨] لأنها وسط بين طرفين كلاهما رذيلة، فالشجاعة وسط بين التهور والجبن، والكرم وسط بين الإسراف والبخل، والاعتداد وسط بين الغرور والمسكنة أو الذلة، والتواضع وسط بين الخجل وانعدام الحياء، والدعابة وسط بين المجون والفظاظة، والحلم في مجال الغضب وسط بين الشراسة والبلادة، والعفة وسط بين الفجور وعدم الحاسية[٩].

وبذلك تحدد الغاية الأخلاقية من الفضيلة، بإحساس المرء بالكمال في ذاته، وتحقيق السعادة لغيره، من خلال (الحكمة، والعفة، والشجاعة، والعدل، والإيمان، والرجاء، والمحبة)[١٠].

هل الفضيلة فطرية أم مكتسبة؟:

لما كانت الفضيلة استعداداً راسخًا لفعل الخير، اكتسبت على ضوء العقل والإرادة[١١]، رأى بعض العلماء أن الفضيلة فعل مكتسب وليس فطريًا. فالفضيلة تكون حيث تؤدي قوى الإنسان وظيفتها، والإنسان عقل وشهوة، لذلك كانت الفضائل خلقية، وعقلية، تجيء الأولى بالتربية والتعود، وتأتي الثانية عن طريق التعلم[١٢].

فالفضيلة ملكة أو حال مكتسبة بالمران[١٣]، تؤدي إلى اللذة التي تصلح أداة للتربية والتهذيب، حيث يجد العفيف لذة في ضبط نفسه، ويجد الكريم متعة في بذله وإنفاقه.

---

[٨] الطويل، د. توفيق: فلسفة الأخلاق نشأتها وتطورها، دار النهضة العربية، مصر، ط٩، (١٩٩١م)، ص٨٩.

[٩] الطويل، د. توفيق: الأخلاق النظرية، ص٨٩.

[١٠] الجوهري، معجم الصحاح، ٢٤٨/٢، (مادة فضل).

[١١] بدوي، د. عبد الرحمن: الأخلاق النظرية، ص١٤٣.

[١٢] الطويل، د. توفيق: فلسفة الأخلاق، ص٨٨.

[١٣] الجوهري: معجم الصحاح، ٢٤٨/٢، مادة فضل.

www.mtenback.com

فهي قيمة إيجابية تكتسب بالسلوك الحسن، والمنهج القويم الذي يسلكه المرء في حياته، وعلاقاته مع الآخرين، دون النظر إلى مكانته أو طبقته، ومما يذكر في ذلك أن عبد الملك بن مروان لما أصبح خليفة، قال: «قلت في الحداثة أشياء رجوت أن يرفع الله بها درجتي، وينشر ذكري، فقال عمارة الفقيه: وما هي؟ قال: كنت لا أشاري ولا أماري، ولاأهتك سترًا ستره الله دوني، ولا ارتكبت محرمًا حظره الله علي، ولا حسدت، ولا بغيت، وكنت من قومي واسطة القلادة، وكنت أكرم جليسي وإن كان دميمًا، وأرفع قدر الأديب، وأكرم ذا الثقة، وأداري السفيه، وأرحم الضعيف، فبذلك رفع الله قدري»[١٤].

فمكارم الأخلاق، والسلوك الحميد، يكسبان الرجل الفضيلة، ويعليان شأنه، وإن كان وضيعًا.

والفضيلة فطرية إذ يمكن للشخص امتلاك فضيلة بعينها بحكم الطبع، فالإنسان المتقشف بطبعه لا يستعذب الإدمان، وهذه فضيلة في خلقه، مثلها مثل امتلاك شخص آخر فضيلة هذا السلوك، لا بطريق الطبع، بل كان ذلك نتيجة انتصاره الشاق على رغبة قوية لديه[١٥].

ويشترط في الفضيلة أن تتم في الحياة الاجتماعية[١٦] فلا معنى للقيم الأخلاقية من صداقة، وتواضع، وكرم، وإخلاص، وإنكار للذات، وشجاعة وعفة، وغيرها، بمعزل عن الناس ومعاشرتهم. فبالتفرد لا تتأتى الفضيلة، لأن الإنسان مدني بطبعه، يحتاج إلى غيره لتكتمل سعادته، فالمحبة والإلفة والمودة بين الناس هي مجمع الفضائل، وبدونها لن

---

[١٤] جاد المولى، محمد أحمد، البجاوي علي محمد، إبراهيم محمد أبو الفضل: قصص العرب، دار إحياء الكتب، مصر، ط٣، (١٣٧٣هـ/١٩٥٤م)، ٢٢٩/١.

[١٥] الموسوعة الفلسفية العربية، الاصطلاحات والمفاهيم، م١، ط١، (١٩٨٦م)، ص٦٤٥.

[١٦] صليبا، د. جميل: المعجم الفلسفي، ١٤٨/٢ ــ١٤٩.

www.mtenback.com

تكون الفضائل إلا محض دعاوٍ زائفة، والفضيلة يفسدها المن، كما قال الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه[١٧]:

الفَضْلُ مِنْ كَرَمِ الطَّبِيعَةْ وَالْمَنُّ مَفْسَدَةُ الصَّنِيعَهْ

مظاهر الفضيلة:

إذا كانت الفضيلة استعداداً فكريًا خاصًا يميز شكلا معينًا من أشكال الصلاح أو الطبيعة الأخلاقية. فمعنى ذلك أنه عندما نصف إنسانًا بها، فإنما نعني أن عنصرًا من عناصر الصلاح أو الجودة يكوّن فضيلة ذلك الرجل، فمعتدل المزاج بطب.عه، يملك فضيلة الاعتدال، والعادل بالعادة، يملك فضيلة العدل والمتعفف بطبعه، يملك فضيلة العفة. ويرى بعض العلماء أن الفضيلة تحتاج إلى بذل الجهد والمقاومة[١٨]، ولا سيما كبح جماح هوى النفس، الذي يحتاج إلى إرادة وجهد منظم، ليصل المرء إلى مرتبة ضبط رغباته دون عناء، كما أن اعتياد صنع الأفعال الشاقة والنافعة للآخرين، يُعَدُّ فضيلة[١٩].

وإذا كان الواجب يقتضي عدم القيام بعمل يثير السخط الأخلاقي، فإن الفضيلة هي القيام بعمل يستوجب الرضا الأخلاقي، الذي يحقق كمال المرء في ذاته، وسعادته وسعادة الآخرين[٢٠].

فإذا تحلى الإنسان بالفضيلة في سلوكه وخلقه، فإن تجاوز حد الواجب في صنع الفضل، استوجب المدح والثناء لنفسه، وإذا امتنع عن فعل المنكر كالسرقة أو القتل وغيرهما، فإننا لا نمدح مثل هذا التصرف، لأن فعل الخير واجب، ومثله الابتعاد عن

---

[١٧] الإمام علي بن أبي طالب (رضي): ديوانه، جمعه وشرحه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٩٨٥م)، ص١٢٣.

[١٨] الموسوعة الفلسفية، ص٦٤٤.

[١٩] المصدر نفسه، ص٦٤٤.

[٢٠] صليبا، د. جميل: المعجم الفلسفي، ١٤٨/٢ ــ١٤٩.

www.mtenback.com

اقتراف الآثام، والإنسان ينبغي ألا يمدح نفسه لفعله الخير، بل عليه أن يقول: قمت بواجبي، كما لا ينبغي له ان يتوقع الشكر لاجتنابه الآثام وسوء الأخلاق.

الفضيلة والقانون:

ومن الفضائل حب الأوطان، وحب الأوطان يعني الحرص على استقرارها ونموها وتطورها، والمحافظة على مكتسباتها وإقرار كل ما فيه خيرها وصلاح مواطنيها، وهذا الأمر يتطلب من الإنسان أن يرجح المصلحة العامة على المصلحة الشخصية ،أي إيثار المنفعة العامة على المنفعة الخاصة، كما ذكر بعض العلماء في مفهوم الفضيلة والسياسة[٢١]، وجميع الفضائل لا تخرج عن ذاك الترجيح[٢٢].

والفضيلة لدى العربي هي المؤدية إلى استحقاق المدح والثناء، مثلما نستدل على الرذيلة بما تثيره من لوم وذم وقدح[٢٣].

وقد ذم العرب من خلق السوء الحسد، والوشاية، والنميمة، والكذب، والغدر والخيانة، والصلف، والتكبر، والطمع، والبخل، وغيرها.

ومن الفضائل التي يمدح بها أهلها العفة، ومنها السخاء بالمال وبذله في الوجوه المشروعة، وعدم حرمان قاصده من نواله، بمثل ذلك مدح زهير بن أبي سلمى الحارث بن عوف إذ يقول[٢٤]:

أَخِي ثِقَةٍ لا تُتْلِفُ الخَمْرُ مَالَهُ ... وَلَكِنَّهُ قَدْ يُهْلِكِ المَالَ نَائِلُهُ

---

[٢١] الجوهري: معجم الصحاح، ٢/٢٤٨. (مادة فضل).

[٢٢] الموسوعة الفلسفية، ص٦٤٤.

[٢٣] المصدر نفسه، ص٦٤٦.

[٢٤] زهير بن أبي سلمى: ديوانه، صنعه: الأعلم الشنتمري، تحقيق: فخر الدين قباوة، المكتبة العربية، حلب، ط١، (١٣٩٠هـ)، ص٥٣.

www.mtenback.com

وزاد البشاشة على وصفه بالسخاء، فبذله لا يلحقه مَنٌّ أو غضاضة، فقال[٢٥]:

تَـراهُ إِذَا مَـا جِئْتَـهُ مُتَهلِّـلاً كَأَنَّكَ تُعطيهِ الَّـذي أَنْـتَ سَـائِلُهْ

وعندما مدحه بقوله[٢٦]:

وَمَنْ مِثْلُ حِصْنٍ فِي الحُرُوبِ وَمِثْلُـهُ لإِنكَـارِ ضَيْـمٍ أَوْ لأَمْـرٍ يُحَاوِلُـهْ

أشاد بشجاعة الحارث ووفور عقله، فاستوفى بذلك المدح ضروب الفضائل كلها، التي يجب أن يتحلى بها الإنسان، كما أسبغ عليه صفة الوفاء الذي هو داخل في قيم الفضيلة.

وقد يتعدى الشعراء أنواع الفضائل المذكورة آنفًا، فيذكرون مناقب المعرفة، والحياء، والبيان والسياسة، والصدع بالحجة، والعلم، والحلم عن سفاهة الجهلة إلى غير ذلك من خصال الفضائل كفضيلة العقل، والحكمة ونحوهما[٢٧].

ويتحدث الناس عن القناعة وقلة الشره وطهارة الإزار، وهي من أقسام العفة، ويشيرون إلي الحماية والدفاع والمهابة، ومواجهة المخاطر، وقطع المفاوز، وهي تندرج تحت قيمة الشجاعة. ويذكرون السماحة والتبرع بالنائل، وإجابة السائل وقِرى الأضياف، وإنصاف المظلوم، وغيرها وهي من أقسام فضيلة العدل، وهذه كلها داخلة في جملة الفضائل الرئيسة.

وإذا ركبت الفضائل بعضها على بعض، حدثت قيمة خلقية جديدة فيها جماع المزايا الحميدة للفضيلتين[٢٨]، فمن تركيب العقل مع الشجاعة، ينجم الصبر على

---

[٢٥] المصدر نفسه، ص٥٣.

[٢٦] المصدر نفسه، ص٥٦.

[٢٧] الحصري، إبراهيم بن علي: زهر الآداب وثمر الألباب تحقيق: زكي مبارك، ومحمد محي الدين عبد الحميد، دار الجليل، لبنان، ط٤، ٢/٤٢٣ــ٤٢٤.

[٢٨] المصدر نفسه ٢/٤٢٣ــ٤٢٤.

www.mtenback.com

الملمات ونوازل الخطوب، والوفاء بالوعود، ومن تركيب العقل مع السخاء يكون إنجاز الوعد، ومن تركيب العقل مع العفة، يصدر التنزه عن ذل المسألة، والاقتصار على أدنى معيشة.

وإذا اجتمعت الشجاعة والسخاء، كان الإخلاف والإتلاف، ومن تركيب الشجاعة مع العفة، يتأتى إنكار الفواحش، والغيرة على الحرم. ومن تركيب السخاء مع العفة، يحصل حب التقشف والميل إلى الإيثار على النفس.

ويرى ابن مسكويه أن تحت فضيلة الحكمة[٢٩] يأتي: الذكاء وهو سرعة انقداح النتائج، وسهولتها على النفس والذكر، وهو ثبات صورة ما يخلصه العقل أو الوهم في الأمور. والتعقل وهو موافقة بحث النفس عن الأشياء الموضوعة بقدر ما هي عليه. وصفاء الذهن وهو استعداد النفس لاستخراج المطلوب. وجودة الفهم وهو تأمل النفس لما قد لزم من المقدَّم. وسهولة التعلم، وهي قوة العقل وحدة في الفهم، وبها تدرك الأمور النظرية.

والفضائل التي تحت العفة هي[٣٠]:

الحياء: وهو انحصار النفس خوف إتيان القبائح، والحذر من الندم والسب.

الدعة: سكون النفس عند حركة الشهوات.

الصبر: و هو مقاومة النفس الهوى، كي لا تنقاد لقبائح اللذات.

السخاء: وهو التوسط في الإعطاء والأخذ، وهو أن ينفق الأموال فيما ينبغي.

القناعة: وهي التساهل في المآكل والمشارب والزينة.

. الدماثة: وهي حسن انقياد النفس لما يحمد، وتسرعها إلى فعل الجميل.

---

[٢٩] مسكويه: تهذيب الأخلاق، ص١٩.

[٣٠] المصدر السابق، ص٢٠ــ٢١.

www.mtenback.com

الوقار: وهو حال النفس وثباتها عند الحركات التي تكون في المطالب.

الورع: وهو لزوم الأعمال الجليلة التي فيها كمال النفس.

الانتظام: وهو حال للنفس، تقودها إلى حسن التقدير للأمور، وترتيبها كما يجب.

الحرية: وهي فضيلة النفس بها يُكتسب المال من وجهه السليم، ويعطى ما يجب في وجهه.

وتحت فضيلة الشجاعة مجموعة من الفضائل منها[٣١]:

كبر النفس: أي الاستهانة باليسير، والاقتدار على حمل الكراهة، وصاحبه يؤهل نفسه للأمور العظام، كما قال المتنبي في مدح سيف الدولة الحمداني عندما عزم على الرحيل عن أنطاكية[٣٢]:

وَإِذَا كَانَتِ النُّفُوسُ كِبَارًا تَعِبَتْ فِي مُرَادِهَا الأَجْسَامُ

النجدة: وهي ثقة النفس عند المخاوف حتى لا يخامرها جزع.

الثبات: وهو القدرة على احتمال الآلام ومقاومتها.

الحلم: وهو فضيلة النفس تكسبها الطمأنينة فلا يحركها الغضب بسهولة.

السكون: أي عدم الطيش في الخصومات، والحروب التي يُذب بها عن الحريم أو الشريعة.

عظم الهمة: وهي تحمل الشدائد التي تكون عند الموت.

وفضائل السخاء هي[٣٣]:

الكرم: أي إنفاق المال في الأمور الجليلة الكثيرة النفع.

---

[٣١] مسكويه: تهذيب الأخلاق، ص٢١ ــ٢٢.

[٣٢] المتنبي: ديوانه، وضع: عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، (١٤٠٧هـ/١٩٨٦م)، ٣٤٥/٣.

[٣٣] مسكويه: تهذيب الأخلاق، ص٢٢.

www.mtenback.com

الإيثار: وهو بذل ما يخصه لمن يستحقه.

النُّبل: وهو سرور النفس بالأفعال العظام، وابتهاجها بهذه السيرة.

السماحة (العفو): أي ترك ما يجب بالإرادة والاختيار.

أما الفضائل التي تحت العدل فهي[٣٤]:

حسن القضاء بلا منٍّ ولا ندم، والشكر، وهو مقابلة الإحسان بمثله وزيادة، وصلة الرحم ومشاركتهم في الخيرات، والتودد بالقرب من الأكفاء، وأهل الفضل بحسن اللقاء، والصداقة والألفة وعون الأصدقاء، وأخيرًا العبادة، أي تعظيم الله وتمجيده وطاعته، والعمل بما توصي به الشريعة.

ويميل معظم من تحدث عن الفضيلة إلى الأخذ بمقولة الاعتدال (الوسطية)، فأرسطو وغيره من علماء الفلسفة والأخلاق يعدون الفضيلة وسطًا بين شيئين مرذولين أو مذمومين، وأخذ بهذا الرأي الغزالي وغيره من أئمة الفكر عند العرب. فالحكمة وسط بين السفه، والبَلَه، والذكاء وسط بين الدهاء، والبلادة، والتعقل وسط بين الذهاب بالنظر في الشيء الموضوع إلى أكثر مما هو عليه، وبين القصور بالنظر فيه عما هو عليه[٣٥] والعفة وسط بين الشره وخمود الشهوة.

والشجاعة وسط بين الجبن، والتهور، والسخاء وسط بين الإسراف والتبذير، والبخل والتقتير. والعدل وسط بين ظلم الآخرين وظلم النفس فالعدالة فضيلة ينتصف الإنسان بها من نفسه ومن غيره، دون أن يعطي نفسه من النافع أكثر ويمنح غيره أقل[٣٦].

تلك هي الفضيلة ومفهومها، وما ينضوي تحتها من فضائل، وآراء العلماء فيها.

---

[٣٤] مسكوية: تهذيب الأخلاق، ص٢٣.

[٣٥] المصدر السابق، ص٢٦.

[٣٦] المصدر السابق، ص٢٧-٢٨.

www.mtenback.com

أمهات الفضائل:

فضيلة الحكمة:

عرّف الغزالي الحكمة، فقال: هي: «حالة النفس، بها يُدرك الصواب من الخطأ في جميع الأحوال الاختيارية»[٣٧]، ووصفها ابن مسكويه في تهذيبه بأنها «فضيلة النفس الناطقة، وهي أن تعلم الموجودات كلها من حيث هي موجودة، وإن شئت فقل أن تعلم الأمور الإلهية والأمور الإنسانية، ويثمر علمها بذلك أن تعرف المفعولات، أيها يجب أن يفعل، وأيها يجب أن لا يفعل»[٣٨] وبهذا التعريف اقترب مسكويه من مفهوم ديكارت للحكمة، فالحكمة عنده أن يستخدم المرء عقله على أحسن وجه، ليعرف ما يجب أن يفعله، أولا يفعله في كل ظروف الحياة وأن يكون ذا عزم راسخ على إنجاز ما ينصحه به العقل، دون أن تصرفه عن ذلك شهواته[٣٩].

ولذلك قيل: «ليسَ العاقلُ الذي يَعرفُ الخيرَ من الشر، ولكنه الذّي يَعرفُ خَير الشّرين»[٤٠]. فهي فضيلة عقلية تمكن صاحبها من حسن القيام بعمله، وتتضمن الروية والحكم العملي، والتصميم أو العزم[٤١].

وقد جاء في الكتاب العزيز قوله عز وجل: ﴿ومن يُؤتَ الحِكمةَ فَقَدْ أُوتي خَيرًا كَثيرًا﴾[٤٢]. وقال الحكم بن أبان: «الحكمةُ خَيرُ ما أوتي العبدُ في الدُنيا»[٤٣].

---

[٣٧] الغزالي، أبو حامد: إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت، (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)، ٥٤/٣.

[٣٨] مسكويه: تهذيب الأخلاق، ص١٨.

[٣٩] بدوي، د. عبد الرحمن: الأخلاق النظرية، ص١٦٣.

[٤٠] ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم الدينوري: عيون الأخبار، دار الكتب العربية، مصر، (١٣٤٤هـ/١٩٢٥م)، ٢٨٠/٣.

[٤١] بدوي، د. عبد الرحمن: الأخلاق النظرية، ص١٦٢.

[٤٢] سورة البقرة: ٢٦٩.

[٤٣] ابن منقد، أسامة، لباب الآداب، تحقيق أحمد شاكر، دار الجليل، لبنان، ط١، (١٤١١هـ/١٩٩٤م)، ص٤٢٣.

www.mtenback.com

وقال الإمام علي رضي الله عنه في المعنى ذاته[٤٤]:

إِذَا أَكمَلَ الرَّحْمَـــنُ لِلمَـــرْءِ عَقْلَـــهُ فَقَـــدْ كَمُلَـــتْ أَخْلاَقُـــهُ وَمَآرِبُـــــهْ

لقد ارتبطت فضيلة الحكمة بالعقل، ودورالعقل في حسن التمييز بين الصـــواب والخطأ، بيّن لا يدفع، وكذا دوره في استنباط الحقائق، ومعرفة موجبات الفعل الحســـن، وموانع المرذول من الفعل، والعقل خير وسيلة لإدراك مجمل الحقائق، لقدرتـــه علـــى المعرفة بما هو كائن، والتنبؤ بما سيكون، فهو أفضل مستشار.

ورفع الله عزّ وجل منزلة العقل، وبيّن فضله، فيما يناط به من تدبر وتفكر في خلق الله، وتأمل في كينونة الكون الفسيح، ليدرك كنه الحقيقة الإلهية، فيهتدي بنـــور البصـــر والبصيرة إلى سواء السبيل، وينأى عن مسلك الجاهلين الذين وصفهم الشاعر بقوله[٤٥]:

وَكَيْفَ تُرِيـــدُ أَنْ تُدعَـــى حَكِيمًـــا وَأَنْتَ لِكُـــلِّ مَـــا تَهْـــوى رَكُـــوبُ

وَتَضْحَكُ دَائِبًـــا ظَهْـــرًا لِبِـــطنٍ وَتَرْتَكِـــبُ الذُّنُـــوبَ وَلا تَتُـــــوبُ

ولو عدنا إلى القرآن الكريم، لوجدنا الكثير من الآيات التي توجـــه فيهـــا الله سبحانه إلى مخاطبة العقل، وهو يدعو الإنسان إلى الإيمان والتدبر والتفكر بمخلوقاتـــه، والتأمل بكل ما يحيط به، فتارة يقـــول: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُو الأَلْبَابِ﴾[٤٦]، ﴿يَا أُولِي الأَلْبَابِ﴾[٤٧]، وتارة: ﴿أَفَلا تَعْقِلُونَ، لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ، لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾، وغيرها من الآيـــارات التي تدل على قيمة العقل وفضله، يقول الشريف الرضي[٤٨]:

---

[٤٤] الديوان، ص٢٤.

[٤٥] ابن منقذ، أسامة: لباب الآداب، ص٤٢٣.

[٤٦] سورة البقرة: ٢٦٩.

[٤٧] سورة البقرة: ١٩٧.

[٤٨] أحمد قبش: مجمع الحكم والامثال في الشعر العربي، دمشق، (١٣٩٩هـ/١٩٧٩م)، ص٤٠١.

www.mtenback.com

هَيْهاتَ مَا الفَضْلُ إلاَّ مَا حَبَتْكَ بِهِ ... أُمُّ الفَضَائِلِ مِنْ عَقْلٍ وَمِنْ دِينِ

فالعقل خير قرين، وهو رأس الحكمة، ومنّة من الله خلقةً واكتسابًا من البيئة المحيطة به فالعتبي يقول: «العقلُ عقلان، عقل تفرَّدَ اللُّهُ بصنعه، وعقلُ يستفيدهُ المرءُ بأدبه وتجَربته، ولا سبيل إلى العقل المستفاد إلا بصحبَة العقل المركّب، فإذا اجتمعا في الجدّ قوّى كلُّ واحدٍ منهما صَاحبَه تَقوية النّار في الظّلمة نور البصر»[٤٩].

والمعرفة والعلوم والآداب والخبرة والتجربة تصقل العقل وتهذبه، تغنيه بفوائد جمة، فكلما اختلفت ينابيع المعرفة وتشعبت، زاد العقل نضجًا وغِنىً، وأعلى قَدْر صاحبه وشأنه، والضّحل من العلم مفسدة للعقل، ومضيعة للجهد، يكسب المرء منزلة وضيعة، ويجعله عرضة للأهواء والضلالات، «فالعقول لها صور مثل صور الأجسام، فإذا أنت لم تسلك بها سبيل الأدب حارت وضلّت، وإن بعثتها في أوديتها كلّتْ وملّت، فاسلك بعقلك شعاب المعاني والفهم، واستبقه بالعلم، وارتد لعقلك أفضل طبقات الأدب، وتوقّ عليه آفة العطب، فإن العقل شاهدك على الفضل، وحارسك من الجهل»[٥٠].

ثم إن العقل غريزة تزينها التجارب، ويحصنها العلم والمعرفة، ومخالطة الصفوة من أهل الحكمة والأدب، فاستق الحكمة من أي مصدر شئت كما يقول الشاعر القروي[٥١]:

اِسْتَقِ الحِكْمَةَ لا يَشْغَلْكَ مِنْ ... أَيِّ ينْبُوعٍ جَرَتْ يا مُسْتَقِي

وما ذلك إلاّ لأن العقل إذا تم نقص الكلام، وأمسكت أعنة النفس عن الهوى، وحصّل المرء فضيلة الحكمة، وصار ملاذًا لراغب في صحبة كريمة، وطامح إلى عون

---

[٤٩] القالي، إسماعيل بن القاسم: أمالي، دار الكتب المصرية، (١٣٤٤هـ/١٩٢٦م)، ١٦٣/٢.

[٥٠] الحصري، إبراهيم: زهرالآداب وثمر الألباب، (١٨٣/١).

[٥١] ديوان رشيد سليم الخوري، القروي: دار المسيرة، بيروت (١٩٧٨م)، ٨٤٦/٢.

www.mtenback.com

أديب أريب يسعفه بعقله، وينجده بحكمته وخبرته. فأصحاب العقول هم أهل الدراية، وبهم تلذ الصحبة، ومنهم يستمد الحمد والثناء، ولذلك يوصي الشاعر العربي بمصاحبة الحكماء، لمن يبحث عن صديق أو خليل، فيقول[٥٢]:

إِذَا مَـا كُنْـتَ مُتَّخِـذًا خَلِيـلاً ... فَلا تَتقَـنْ بِكُـلِّ أَخِـي إِخَـاءِ

وَإِنْ خُـيِّرْتَ بَينَهُـمُ فَـأَلْصِقْ ... بِـأَهْلِ الفَضْـلِ مِنهُـمْ وَالحَـيَاءِ

فَـإِنَّ العَقْـلَ لَيْـسَ لَـهُ إِذَا مَـا ... تَفَـاضَلَتِ الفَضَـائِلُ مِـنْ كَفَـاءِ

فإن كان صاحب الحكمة والعقل كريم النفس طيبها، أثمر العقل خير الثمرة فمروءة الرجل عقله، و«مغارس العقول كمغارس الأشجار، فإذا طابت بقاع الأرض للشجر زكا ثمرها، وإذا كرمت النفوس للعقول طاب خيرها»[٥٣] وهذه إشارة إلى ضرورة استخدام العقل، وتسخير الحكمة لصالح البشرية، بدلاً من توظيفها في إلحاق الأذى والضرر بالمجتمع، مما يجعل العالم يعيش حالة من الذعر والقلق الدائم، فكم من علم بعقل يستخدم لزيادة مآسي الناس، وكم من علم بعقل يجند للتخفيف من آلام الناس، كاستخدام الليزر على سبيل المثال لا الحصر في ميدان الطب بما فيه من الفائدة والنفع، أوجعله أداة للدمار والموت.

فضيلة الرَّوِيّة والأناة:

ومن وجوه الحكمة الرّوية والأناة والحزم في الرأي قبل الشروع في قطع أمر، أو تسجيل موقف، أو رد فعل دون مراجعة، أو نظر فيه على مهل، فالإنسان الحصيف يمنح ذاته قدراً من الوقت يُقلب فيه الأمور على وجوهها المختلفة، ومن ثم يدلي بدلوه، ويرى رأيه فيما ينوي فعله، فقد قيل: «إن لابتداء الكلام فتنةً تروق، وجِدة تُعجب،

---

[٥٢] الجاحظ، عمرو بن بحر: البيان والتبيين، تحقيق: عبدالسلام هارون، القاهرة (١٣٦٧هـ/١٩٤٨م)، ٢٤٤/١.

[٥٣] الحصري، إبراهيم: زهر الآدب وثمر الألباب، ١٨٣/١.

www.mtenback.com

فإذا سكنت القريحة، وعدل التأمل، وَصَفت النفس، فليُعد النظر، وليكن فرحه بإحسانه مساويًا لغمّه بإساءته، فقد قالت الخوارج لعبد الله بن وهب الراسي، نُبايعك السّاعةَ، فقال: دعوا الرَّأي حتى يبلغَ أناته، فإنه لا خير في الرأي الفطير». وقال الشاعر في هذا المعنى[٥٤]:

إنَّ الَحديثَ تَفُرُّ القَوْمَ جَلوَتُهُ ... حتّى يُغَيِّرُهُ بالوَزْنِ مضمَارُ

فَعِنْدَ ذَلِكَ تُسْتَكْفَى بَلاغَتُهُ ... أَوْ يَسْتَمِرُّ بِهِ عِيٌّ وَإِكْثَارُ

فحريٌّ بالمرء أن يراجع النفس في كل شأن، وأن يترك للعقل فسحة يستطيع من خلالها إمعان النظر إذا عزم على أمر قبل أن يتخذ قرارًا، فربما يكون غير صائب إن نجم عن العجلة، فلا خير في مسألة تنقصها الرؤية الجادة التي تتصف بالدقة والموضوعية، وتفتقر إلى الأناة والرويّة، كما يرى النابغة الذبياني بقوله[٥٥]:

لا خَيْرَ فِي عَزْمٍ بَغَيرِ رَوِيَّةٍ ... وَالشَّكُّ وَهْنٌ إِنْ نَوَيْتَ سَراحَا

وَالرِّفْقُ يُمْنٌ والأَنَاةُ سَعَادَةٌ ... فَاسْتأْنِ فِي رِفْقٍ تُلاقِ نَجاحَا

ولذلك قيل: «ليس العاقل الذي يحتال للأمر إذا وقع، ولكنه الذي يحتال للأمر ألا يقع فيه»[٥٦]، فإن وقع فالصبر حلية الحكيم، وهو خير دواء لكل نازلةٍ أو خطب، كما يقول جميل صدقي الزهاوي[٥٧]:

إِنَّ الحَكِيمَ إِذَا مَا فِتْنَةٌ نَجَمَتْ ... هُوَ الَّذي بِحِبَالِ الصَّبْرِ يَمْتَسِكُ

---

[٥٤] الحصري، زهر الآداب وثمر الألباب، ١/١٥٤.

[٥٥] ديوان النابغة الذبياني: صنعة: ابن السكيت، تحقيق د. شكري فيصل، دار الفكر، دمشق، (١٣٨٨هـ/١٩٦٨م)، ص٢٢٧-٢٢٨.

[٥٦] ابن قتيبة: عيون الأخبار، ٣/٢٨٠.

[٥٧] ديوان جميل صدقي الزهاوي: دار العودة، بيروت، (١٩٧٢م)، ص٣٠٧.

www.mtenback.com

ولعل أكثر الناس حاجة إلى الرَّوية والأناة والحزم في الأمور الشاقة، وهي سمات عقلية، هم أهل العقد والحل، أصحاب النفوذ، إنهم أحوج إلى ضبط النفس، فأحزم الملوك «من مَلَكَ جدُّه هزله، وقهَرَ لبُّه هواه، وأعرب لسانه عن ضميره، و لم يخدعه رضاه عن سخطه، ولا غضبه عن صدقه»[٥٨].

والرأي السديد مقدم على القوة، ويفوق شجاعة الشجعان، فهو أول، وهي في الرتبة التالية، كما يقول المتنبي[٥٩]:

الرَّأيُ قَبْلَ شَجاعَةِ الشُّجْعانِ هُوَ أوَّلٌ وَهِيَ المَحَلُّ الثَّانِي

وقد امتدح الرسول الكريم ﷺ خُلّتي الأناة والحلم في شخص الأشجع بن عبد القيس، فقال: «إنَّ فيك خصلتين يحبهما اللهُ ، الحلم والأناة»[٦٠].

ولا ريب أن الحلم صنو العقل، فالحكيم ينبغي أن يكون حليمًا، والحليم ينبغي أن يكون حكيمًا فماذا عن فضيلة الحلم؟.

فضيلة الحلم:

الحلم: «هو حالة يظهر معها الوقار والثبات عند الأسباب المحركة للغضب، أو الباعثة على التعجيل في العقوبة، وحب النفس»[٦١]، وهذه حالة تأتي من ضبط النفس، وجعلها خاضعة لسلطان العقل الذي تطمئن له، وتأتمر بأمره، فلا يحركها الغضب بسهولة وسرعة[٦٢].

---

[٥٨] الحصري، إبراهيم: زهرالآداب وثمر الالباب، ٣/٩٤٠.

[٥٩] ديوان المتنبي، ٤/٣٠٧.

[٦٠] النووي، يحيى بن شرف الدمشقي: رياض الصالحين، تحقيق: عبد العزيز رباح، وأحمد يوسف الدقاق، دار المأمون للتراث، دمشق، ط١٣، (١٤١٢هـ/١٩٩٢م)، ص٢٤٣.

[٦١] الاصبهاني، الراغب: محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء، القاهرة، (١٣٢٦هـ)، ١/١١٨.

[٦٢] المصدر نفسه، ١/١١٨.

www.mtenback.com

وهو دعامة العقل، ودلالة كماله واستيلائه، بل هو أرفع من العقل عند بعض العلماء لأن الله تسمّى به[٦٣].

والحلم أعظم درجة من كظم الغيظ، وأفضل منه منزلة «لأن كظم الغيظ عبارة عن التّحكم أي تكلف الحلم، ولا يحتاج إلى كظم الغيظ إلا من هاج غيظه، فهو يحتاج إلى مجاهدة شديدة، ولكن إذا تعود ذلك صار اعتياداً، فلا يهيج الغيظ، وإن هاج فلا يكون في كظمه تعب، وهو الحلم الطبيعي»[٦٤]. فبالحلم يملك المرء زمام نفسه، ويربأ بها عن سفاسف الأمور، فينال بهذا الخلق تقدير الناس واحترامهم، وثواب الله تعالى الذي وعد بقوله: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾[٦٥] خير الجزاء، فأعد لهم جنة عرضها السماوات والأرض، يختار فيها من الحور العين ما يشاء، ولا سيما إذا كان قادراً على إنفاذ غيظه، فآثر دفعه، فترفع عن الخلق الدنيء، وتوقف عن الفعل الوضيع. ففي الحديث الشريف: «من كظم غيظًا، وهو قادرٌ على أن ينفذه، دعاه الله على رؤوس الخلائق وخيره من أي الحور شاء»[٦٦]، ويوم القيامة يجمع الله الخلائق، فينادي مناد «أين أهل الفضل؟ فيقوم ناس وهم يسير، فينطلقون إلى الجنة، فتتلقاهم الملائكة، فتقول لهم: ما كان فضلكم؟ فيقولون: كنا إذا ظُلمنا صبرنا وإذا أُسيء إلينا عفونا، وإذا جُهل علينا حلمنا، فيقال لهم: أدخلوا الجنة، فنعم أجر العاملين»[٦٧]. وكان الرسول الكريم ﷺ يقول: «اللهم أغنني بالعلم، وزيني بالحلم، وأكرمني بالتقوى، وجملني بالعافية»[٦٨]، وكلها من مستوجبات الإيمان، وصفات العبد المؤمن.

---

[٦٣] الغزالي: إحياء علوم الدين، ١٧٦/٣.

[٦٤] الغزالي: إحياء علوم الدين، ١٧٦/٣.

[٦٥] سورة آل عمران: ١٣٤.

[٦٦] النووي، رياض الصالحين، ص٤٣. والترمذي في باب البر، حديث رقم ٢٠٢١.

[٦٧] الغزالي،إحياء علوم الدين، ١٧٨/٣.

[٦٨] المصدر نفسه، ١٧٦/٠٣.

www.mtenback.com

فأقرب ما يكون المرء من غضب الله إذا غضب، لأن الغضب يخرجه عن الطبيعة التي فطره الله عليها، وهي التخلق بخلق الإسلام، وهو نعم الخلق، ويدفعه إلى ارتكاب المحارم، وفعل المعاصي، ويصده عن منهج الحق والعدل فيما يناط به من جليل العمل، فيشين نفسه، ويسيء لأهله وذويه ومجتمعه، فكم من أسر دُمرت، وشُرد عيالها بالطلاق الناجم عن الغضب والتسرع في استعمال مثل هذا الحق الشرعي بضوابطه وشروطه. ولذلك قيل لحكيم «أيُّ الأحمال أثقل؟ فقال: الغضب»[٦٩].

والحكيم من جعل الحلم منهجًا لسلوكه، لأن النُبل يكمن في الحلم عند الغضب، والعفو عند المقدرة كما قال الخليفة معاوية رضي الله عنه[٧٠].

وجلُّ الحكماء وأهل الدراية والعلم، أشادوا بخلق الحلم وفضيلته في ضبط النفس، والصبر على الأذى، فقد جاء رجل إلى النبي، فقال له: أوصني، قال: «لا تَغضبْ، قال:لا أقدرُ، قال: فَإنْ غَضِبتَ، فَأمسِك لِسانَك ويدك»[٧١] وقد يدفع الغضب الإنسان إلى فعل أمر يندم عليه بعد وقوعه، ولكن الحلم يكون بمثابة لجام يلجم به المرء نفسه وخاصة جوارحه خشية أن يلحق الضرر بغيره، ويعّود نفسه على خلق التحلم، والتعلم من أصحاب الحلم، كما يقول حاتم الطائي[٧٢]:

تَحَلَّمْ عَنِ الأَدْنَيْنِ وَاسْتَبْقِ وُدَّهُمْ ... وَلَنْ تَسْتَطِيعَ الحِلْمَ حَتَّى تَحَلَّمَا

وذكر الأحنف بن قيس، وهو من حلماء العرب وحكمائهم، أنه تعلم الحلم من قيس بن عاصم المنقري، فقال: تعلمت الحلم من قيس بن عاصم المنقري، بينما هو قاعُد بفنائه مُحتبٍ بكسائه، أتتهُ جماعةٌ فيهم رجلٌ مقتول ورجلٌ مكتوف، وقيل له: هذا

---

[٦٩] الأصبهاني: محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء، ١/١١١.

[٧٠] المبرد، محمد بن يزيد: الكامل في اللغة والأدب، المكتبة التجارية، مصر، (د.ت)، ١/٣٠ .

[٧١] الغزالي: إحياء علوم الدين، ٣/١٧٦.

[٧٢] ديوان حاتم الطائي: شرح إبراهيم الجزيني، دار الكاتب العربي، لبنان، (١٩٦٨م)، ص٨٢.

www.mtenback.com

ابنك قتلهُ ابنُ أخيك، فوالله ما حلَّ حُبوتَه حتَّى فرغ من كلامه، ثم التفتَ إلى ابنٍ لـه في المجلس، فقال له: قُم فَأطلِقْ ابنَ عمك، ووارِ أخاك، واحمل إلى أمه مئةَ ناقـة مـن الإبل فإنها غريبة وَأقبلَ على القاتل، فقال له: قَتلتَ قَرابتك، وَقطعتَ رحمك، وأقللـت عَددكَ، لا يبعد اللهُ غَيرك[٧٣].

ما أروعه من موقف نبيل لخصته عبارة هذا الحكيم، الجامعة المانعة، التي كانت أشد قوة على القاتل من حد السيف، وقد حسم المشكلة بفضل حلمه وحكمته وعقله الراجح، ورفعة خلقه وحسن تدبيره في الشدائد، والموقف الذي عرض له من أصعـب المواقف لاختبار حلم الرجال ومعرفة مدى رجاحة عقولها.

إذن فالحِلم الذي هو دلالة على الحكمة والتعقل والرَّوية صعب المنال، لأنه يُجبر النفس على ما تكره لا عن ضِعة، ولا عن ذلة، بل هي قدرة في التحكم بالنفس بغرض مداراة السفهاء، وعدم الإنجرار وراء صغائرهم، صونًا للكرامة، ودفعًا للمهانة، وعزٌ من يقدر على هذا الخلق،ولاسيما إذا كان كما وصفه الشاعر بقوله[٧٤]:

لَنْ يُدرِكَ المَجْـدَ أَقْـوامٌ ذَوُو كَـرَمٍ حَتَّـى يَذِلُّـوا وَإِنْ عَـزُّوا لأَقْـوامِ
وَيُشتَموا فَـتَرى الأَلْـوانَ مُسْـفِرَةً لا خَوْفَ ذُلٌ وَلَكِنْ فَضْـلُ أَحْـلامِ

فقد يُساء للحليم، ويتعرض لما يكره، فيترفع عن مقالة السـوء، يصـم الأذن دونها، ولو أُسيء الظن به، فحسبه حفظ ماء وجهه، ولسان حاله يقول[٧٥]:

إِنّي لأُعْرِضُ عَـنْ أَشْـياءَ أَسْـمَعُهَا حَتَّى يَظُـنَّ أُنـاسٌ أَنَّ بِـي حُمُقَـا
أَخْشَى مَقَالَ سَـفِيهٍ لا حَيَـاءَ لَـهُ وَأَنْ يَظُـنَّ أُنَـاسٌ أَنَّـهُ صَدَقَـا

---

[٧٣] ابن قتيبة: عيون الأخبار، ٢٨٦/٣.

[٧٤] الأصبهاني: محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء، ١١٨/١.

[٧٥] ابن منقذ (أسامة) لباب الآداب، (ص٣٥٧).

www.mtenback.com

ويتجسد كرم الحليم وعفته وحكمته في موقفه من ذوي القرابة أو ذوي الرحم، حيث يبادرون الرجل بالإساءة، فيميل هو بدوره إلى اصطناع الحلم، وينأى بنفسه عن مجاراتهم في الفعل القبيح، يصور ذلك الشاعر الأسيدي، الذي عبر عن سمو خلقه، وعظيم كرمه إزاء أهله، فيقول[٧٦]:

إنّي لَيمْنَعُني مِنْ ظُلْمِ ذي رَحِمٍ ... لُبٌّ أَصِيلٌ وَحِلْمٌ غَيْرُ ذِي وَصَمِ

إنْ لانَ لِنتُ فَإنْ دَبَّتْ عَقَارِبُهُ ... مَلأْتُ كَفَّيهِ مِنْ صَفْحٍ وَمِنْ كَرَمِ

إنه خلق الكريم الذي يقوّي أواصر المودة والرحمة بين الأقارب، وغيرهم، ولكن مثل هذا السلوك القويم يجب أن نحميه من بوادر الضعة أو الذلة، فلا يؤول إلى ضعف، فالانتصار لرد عادية الجهول الظلوم الأحمق، الذي لا يصلح معه الحلم، بل يزيده جهلاً وحمقًا هو أنجح وسيلة من الحلم في مثل هذه المواطن، كما يقول صفي الدين الحلي[٧٧]:

لا يَحْسُنُ الحِلْمُ إلاَّ في مَواطِنِهِ ... وَلا يَلِيقُ الوَفَا إلاَّ لِمَنْ شَكَرَا

وكان للنابغة الجعدي أن نادى بحماية الحلم، ودعا إلى تحصينه من عاديات الوهن والخور، فقال[٧٨]:

وَلا خَيرَ فِي حِلْمٍ إذَا لَمْ تَكُنْ لَهُ ... بَوادِرُ تَحْمِي صَفْوَهُ أَنْ يُكَدَّرَا

فلما سمع الرسول الكريم ﷺ هذا القول، قال: «لا يفضض الله فاك»، فكان دعاؤه للرجل إشارة منه ودلالة واضحة على ضرورة مؤازرة فضيلة الحِلم بالقوة، فآفة الحلم الضعف والذلة[٧٩].

---

[٧٦] المصدر نفسه، ص٣٨٨.

[٧٧] ديوان صفي الدين الحلي: ضبط: عمر الطباع، دار الأرقم، بيروت، ط١، (١٤١٨هـ/١٩٩٨م) ص٧٣.

[٧٨] ديوان النابغة الجعدي: تحقيق: واضح الصمد، دار صادر، بيروت، ط١ (١٩٩٨م)، ص٨٥.

[٧٩] ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٢١٨/١.

www.mtenback.com

وقد تغنى الشعراء بقيمة الحلم في شعرهم، فكانت مجالاً للفخر في النفس والقوم، فحسان بن ثابت يشيد بخلة الحلم التي هي سمة قومه، فيقول[٨٠]:

وَلَو وُزِنَتْ رَضْوَى بِحِلْمِ سَرَاتِنَا لَمَالَ بِرَضْوى حِلْمُنَا وَيَلَمْلَمِ

وإذا تحلل بعض الناس من الحلم، فإنّ بني عبد يغوث المازني لا يرضون بغير الحلم سيرة وسلوكًا لشبابهم وشيبهم، كما يذكر خفاف بن مالك المازني[٨١]:

نُرِيْحُ فُضُولَ الحِلْمِ وَسْطَ بُيوتِنَا إِذَا الحُلَماءُ عَنْهُمُ الحِلْمَ أَغْرَبُوا

أما ممدوح أبي تمام فيزينه الوقار، وتجُله المهابة، ويُظله الحِلم والأدب الرفيع، والتواضع للكبير والصغير، وبذلك يكون الرجل قد جمع في شخصه ومحيّاه مكارم الأخلاق كلها كما وصفه بقوله[٨٢]:

مَنْ لِي بِإِنْسانٍ إِذَا أَغْضَبْتُهُ وَجَهِلْتُ كَانَ الحِلْمُ رَدَّ جَوابِهِ

وَإِذَا طَرِبْتُ إِلى المُدامِ شَرِبْتُ مِنْ أَخْلاقِهِ وَسَكِرْتُ مِنْ آدابِهِ

وَتُراهُ يُصْغِي لِلْحَدِيثِ بِسَمْعِهِ وَبِقَلْبِهِ وَلَعَلَّهُ أَدرَى بِهِ

فالممدوح حليم، كريم، وقور، متواضع، هادئ، لا يظهر ضجرًا، ولا ملالاً أو تأففًا، وعلى الرغم من متاعبه لا يصرف باله حتى عن صغير الأمور،وإن كان يعرفها، كيلا يشعر محدثه بالحرج أو يظن به التكبر والتعالي وتلك خلال حميدة، وشيم محمودة، تكون في الحدث الصغير، مماثلة لوجودها في الكبير قدرًا وعمرًا، كما ذكر المتنبي بقوله[٨٣]:

---

[٨٠] ديوان حسان بن ثابت، شرح: عبد الرحمن البرقوقي، دار الأندلس، بيروت، (١٣٨٦هـ)، ص٤٥٢.

[٨١] ابن منقذ، أسامة: لباب الآداب، ص٣٥٧.

[٨٢] المصدر نفسه، ص٣٥٨.

[٨٣] ديوان المتنبي، ١/١٧٠.

www.mtenback.com

فَمَـا الحَداثَـةُ مـن حِلْـمٍ بمَانعـةٍ قَدْ يُوجَدُ الحِلْمُ فِي الشُّبانِ وَالشِّـيبِ

فَضيلةُ العفة:

العِفَّةُ في اللغة تَركُ الشهوات من كل شيء، وغلبت في حفظ الفَرج مما لا يَحَلُّ، وهي في الاصطلاح الكفُّ عما لا يَحَلُّ ولا يَجْمُلُ من قول أوفعل[٨٤]. أي أن العفة «تنظم الشهوات، وتخضعها لحكم العقل، وتسعى لتنظيم السلوك الظاهر، والسلوك الباطن للإنسان»[٨٥].

وتتطلب طبيعة هذا السلوك السوي إرادة فاعلة من قبل الإنسان،تُعينه على كبح جماح هوى النفس بطريقة تحقق له التوازن بين الفطرة البشرية، والقيم الأخلاقية، والعرف الاجتماعي، وفي هذا المعنى قال أبو فراس الحمداني[٨٦]:

عَفَافُكَ غَـيٌّ إنَّمـا عِفَّـةُ الفَتـى إذَا عَفَّ عَـنْ لَذَّاتِـهِ وَهْـوَ قَـادِرُ

فهو يرى أن التعفف عن اللذات لا يكون ادعاء، بل هو واقع عملي عندما يكون المرء قادراً على اختراق الخلق القويم، وقد تهيأت له مسببات الخروج على التوازن الواعي، الملتف بدثار الحياء والعفة، فتأبى نفسه العفيفة إلا قهر شيطانها، والبعد بصاحبها عن درك اللذائذ أو المتعة الفانية الزائلة.

وهذا التوازن المنشود في المرء يكون من خلال الحياء، والقناعة والصبر، والورع، واللطافة والمسامحة، والسخاء والمساعدة، وقلة الطمع، والبعد عن البخل، والرياء، والمجون، والحسد، والقِحة، والتذلل للأغنياء، واحتقار الفقراء[٨٧]، والبعد عمَّا حرَّم الله

---

[٨٤] المعجم الوسيط، (مادة عف)

[٨٥] بدوي، د. عبد الرحمن: الأخلاق النظرية، ص١٨١.

[٨٦] أبي فراس الحمداني: ديوانه، تحقيق: د. محمد التونجي، نشر المستشارية الثقافية الإيرانية بدمشق (١٤٠٨هـ/١٩٨٧م)، ص١١٩.

[٨٧] الغزالي: إحياء علوم الدين، ٣/٥٤-٥٥.

www.mtenback.com

مما ظهر وما بطن، وعندئذ يصبح الإنسان ظريفًا بين الناس، محبوبًا عندهم، كما يقول أبو عبد الله بن إبراهيم[٨٨]:

لَيْسَ الظَّرِيفُ بِكَامِلٍ فِي ظُرْفِهِ ... حَتَّى يَكُونَ عَنِ الحَرَامِ عَفِيفَا

فَإِذَا تَعَفَّفَ عَنْ مَحَارِمِ رَبِّهِ ... فَهُنَاكَ يُدْعَى فِي الأَنَامِ ظَرِيفَا

وتتمثل العفة في مظهرين، الأول سلوك ظاهري ونعني به عفة الجوارح، والثاني مسلك باطني ويقصد به عفة الفكر، كما بين، ابن حجر المكي الهيتمي في كتابه (الزواجر عن اقتراف الكبائر). فماذا عن السلوك الأول؟

عفة الجوارح:

الإنسان على هيئته، مخلوقٌ بشريٌّ حباه الله سبحانه بالعقل، وأيده بهذه الجوارح التي سخرها سبحانه لصالح البشر وخدمتهم، فكان لهم السمع، والبصر، والفؤاد، واللسان، والأيدي، والأرجل، مِنّة من الله، لتمام خلق الإنسان وتكوينه، وهو لم يطلقها له دون قيد، فالفرد مسؤول عنها مسؤولية كاملة، فيما يصرفها أو يستخدمها، كما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾[٨٩].

وجاء في الحديث الشريف أن ابن آدم كُتب عليه نصيبه من الزنا وهو مدرك ذلك لا محالة: «العينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرِّجل زناها الخُطا، والقلب يهوى ويتمنى، ويُصدّقُ ذلك الفرج أو يكذبه»[٩٠].

---

[٨٨] الحصري، إبراهيم: زهر الآداب وثمر الألباب، ٣/٧٨٢.

[٨٩] سورة الإسراء: ٣٦.

[٩٠] القشيري، مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، (١٩٧٢م)، ٤/٢٠٤٦.

www.mtenback.com

ولذلك قيل: «من عَفَّتْ أطرافة، حَسُنَتْ أوصافهُ»[٩١]، وقال المتنبي مفسراً العفة في معرض مدحه لكافور الإخشيدي[٩٢]:

وَلا عِفَّةً في سَيْفِهِ وَسِنَانِهِ وَلَكِنَّها فِي الكَفِّ وَالفَرْجِ وَالفَمِ

ولعل زَلَّةَ اللسان أشد خطراً من سواها، فشأن هذه المضغة من اللحم عظيم، ولا نجاة من عقابها، إلا بالإمساك بعنان اللسان، وصونه عن الحرام، وفضيلة الصمت هي خير دواءٍ لآفات اللسان، وما أكثرها، منها: «الكذب، والغيبة والنميمة، والنفاق والرياء، وهتك العورات، وإيذاء الخلق بقبيح الكلام، والفجور في القول»، إلى غيرها من الأمور المنكرة والمحرمة والمكروهة التي تتسلل إلى اللسان، فتزل في لغو الحديث، حيث تكون العاقبه وخيمة، فقد سأل معاذ بن جبل رسول الله ﷺ فقال: «أنؤاخذ بما نقول؟ قال: ثكلتك أمك يا بن جبل، وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم»[٩٣].

من هنا كان التحذير والنهي عن الغيبة والنميمة في القرآن الكريم والحديث الشريف والأدب، قال تعالى: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾[٩٤].

وقال النبي الكريم ﷺ: «لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم، فإن من اتبع عوراتهم يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته»[٩٥] وقال أيضاً في عاقبة النمام: «لا يَدخلُ الجنةَ نمام»[٩٦]. وقال الشاعر[٩٧]:

---

[٩١] الحصري، إبراهيم: زهر الآداب وثمر الألباب، ١٠٥/٤.

[٩٢] ديوان المتنبي، ٢٦٦/٤.

[٩٣] النووي: رياض الصالحين، ص٤٤٧.

[٩٤] سورة الحجرات: ١٢.

[٩٥] الكردي، محمد، تنوير القلوب، ص٤٦٧.

[٩٦] صحيح مسلم، رقم الحديث ١٦٨.

[٩٧] ابن عبد ربه: العقد الفريد، ٢٣٧/١.

www.mtenback.com

لاَ تَهْتِكَنْ مِنْ مَساوِي النَّاسِ مَا سَتَرُوا فَيهتِكَ اللهُ سِتْرًا مِنْ مَساوِيكَا
وَاذْكُرْ مَحاسِنَ مَا فِيهِم إِذَا ذُكِرُوا وَلا تُعِبْ أَحدًا مِنهُم بِمَا فِيْكَا

وحسبنا تأسيًا بقول المصطفى ﷺ: «فلتقل خيرًا أو لتصمت»[98]، فالله الذي يعلم السر وأخفى، غير غافل عن عبيده، ويجازيهم بالمثل، فمن ستر إنسانًا ستره الله وفرّج عنه، ومن فضح سر امرئ، هتك الله ستره في عقر داره، فالله يحب الستر وأمر به، فإن أبيت إلا القول فاحرص على كلامك وزنه، وإلا فالصمت أولى، كما يقول عبد الله بن معاوية[99]:

أَيُّها المَرْءُ لا تَقُولَنَّ قَوْلاً لَسْتَ تَدرِي مَاذا يَعِيبُكَ مِنْهُ
وَالْزَمِ الصَّمْتَ إِنَّ فِي الصَّمْتِ حِكمًا فَإِذَا أَنْتَ قُلْتَ قَوْلاً فَزِنْهُ

وشبيه هذا قول أبي العتاهية في انتقاء الجيد من اللفظ، أو حُسن الصمت إذا ما اقتضاه المقام[100]:

لاَ خَيْرَ فِي حَشْوِ الكَلا مِ إِذَا اهْتَدَيْتَ إِلى عُيونِهْ
وَالصَّمْتُ أَجْمَلُ بِالفَتَى مِنْ مَنطِقٍ فِي غَيْرِ حِينِهْ

فقد يُودي الحديث غير السوي بحياة المرء، لأن: «مقتل الرجل بين فكيه»[101] وقال جعفر بن محمد بن علي[102]:

---

[98] النووي: رياض الصالحين، ص١٣٤.

[99] ديوان عبد الله بن معاوية: تحقيق: عبد الحميد الراضي، مؤسسة الرسالة، دمشق،ط١، (١٣٩٦هـ/١٩٧٦م)، ص٨٣.

[100] ديوان أبي العتاهية: أشعار وأخباره، تحقيق: د. شكري فيصل، طبع: جامعة دمشق، (١٣٨٤هـ/١٩٦٥م)، ص٤٠٣.

[101] الميداني، أحمد بن محمد: معجم الأمثال، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، دمشق، ط٢، (١٣٩٢هـ/١٩٧٢م).

[102] الجاحظ: البيان والتبيين، ١/١١٤.

www.mtenback.com

يَمُوتُ الفَتَى مِنْ عَثْرَةٍ بِلِسَانِهِ وَلَيْس يَمُوتُ المَرْءُ مِنْ عَثْرَةِ الرِّجْلِ
فَعَثْرَتُهُ مِنْ فِيهِ تَرمِي بِرَأْسِهِ وَعَثْرَتُهُ بِالرِّجلِ تَبْرَى عَلَى مَهْلِ

فالندم على السكوت خير من الندم على الكلام[١٠٣]، والصمتُ في غيظ واحتباس خير من كلام لا ينفع قال أبو نواس[١٠٤]:

مُتْ بِدَاءِ الصَّمْتِ خَيْرٌ لَكَ مِنْ دَاءِ الكَلَامِ
إِنَّمَا السَّالِمُ مَنْ أَلْـ ـجَمَ فَاهُ بِلِجَامِ

فالصمت فضيلة خُلقية فيها دوام الوقار، والفراغ للفكر والذكر والعبادة، والسلامة من تبعات القول في الدنيا، ومن حسابه في الآخرة[١٠٥]، فإذا قرن الرجل إلى ذلك الصدق في القول والفعل والنية والعزيمة، حاز رضا الرَّب سبحانه وملك نفوس الناس فأحبوه لا عن خوف ورَهبة ولكن لحبهم لخلاله وسجاياه فالصدق من كرم السجايا، والكذب من لؤم السريرة يشين فاعله، ويكسوه بالخزي والخجل، كما يشير قول أحمد الكيواني[١٠٦]:

وَالصِّدقُ مِنْ كَرَمِ الطِّبَاعِ وَطَالَمَا بَاءَ الكَذُوبُ بِخَجْلَةٍ وَوُجُومِ

ولن يُعدَّ الصادق صادقًا حقًا إلا إذا صدَّق فعله قوله، كما يقول أحمد شوقي[١٠٧]:

وَالمَرْءُ لَيْسَ بِصَادِقٍ فِي قَوْلِهِ حَتَّى يُؤَيِّدَ قَوْلَهُ بِفِعَالِهِ

---

[١٠٣] المصدر السابق، ١٩٤/١.

[١٠٤] ديوان أبي نواس: تحقيق: د عمر الطباع، دار الارقم، بيروت، ط١، (١٤١٨هـ/١٩٩٨م)، ص٥٣٢.

[١٠٥] الغزالي: إحياء علوم الدين، ١١١/٣.

[١٠٦] ديوان أحمد الكيواني: مطبعة الحنفية، دمشق، (١٣٠١هـ)، ص١٧٨.

[١٠٧] ديوان أحمد شوقي: دار الكتاب العربي، بيروت ط١، (د.ت)، ١٧١/١.

www.mtenback.com

وإلا دخل في باب النِّفاق، وكان كمن وصفهم الله بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ، كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[١٠٨]، وخسر شيمة الصدِّيق والصديقين وهم الأنبياء، ومنهم إبراهيم ونبي الله إدريس عليهما السلام إذ يقول عزَّ وجل: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾[١٠٩].

وإن حصَّل الإنسان هذه المرتبة من الخلق الحسن، غلبت عليه مظنة الصدق، كما يقول المعري[١١٠]:

اصْدُقْ إِلَى أَنْ تَظُنَّ الصِّدْقَ مَهْلَكَةً ... وَعِنْدَ ذَلِكَ فَاقْعُدْ كَاذِبًا وَقُمِ

وإذا كان هذا حال جارحة القول في إعلاء صاحبها أو إهلاكه فإن حاسة البصر لا تقل خطرًا عنها، فالنظر إلى الحرمات مدخل يسير إلى الحرام، وطريق زلق إلى الشبهات والوقوع في المحظورات، ولذا أمر الله بغض البصر والعفة عن المحارم وقاية لهم من اقتراف الخطأ، وأمانًا واطمئنانًا للنفس، وراحة للبال، ومن ثم فهناك ثواب عظيم عند الله، لصونه هذه الجارحة عن الحرام: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ.. وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾[١١١].

ولو عدنا إلى تراثنا العربي نستطلع هذه الخلة، لشرفنا بالصور التي ساقها الشعراء وهم يعبِّرون عن عفتهم وصون حريم جوارهم، فما أكثر ما تغنى شاعرنا العربي بهذه الخصلة منذ العصر الجاهلي، حتى عند من عرف عنهم الميل إلى التهتك والاستهتار، فهذا بشار بن بشر يتحدث عن عفته عن حليلة جاره، وخاصة إذا غاب عنها لشأن

---

[١٠٨] سورة الصف: ٢ــ٣.

[١٠٩] سورة مريم: ٤١.

[١١٠] اللزوميات، للمعري، ٣/١٥٥.

[١١١] سورة النور: ٣٠ ــ ٣١.

www.mtenback.com

يعنيه، فيذكر أنه يتجاهلها تمامًا، ويحفظ عرضها، ويصون حماها، طالما زوجها بعيد عنها فيقول[١١٢]:

فَإِنِّي لَعَفٌّ عَنْ فُكَاهَةِ جَارَتِي ... وَإِنِّي لَمَشْنُوءٌ إِلَيَّ اغْتِيَابُهَا

إِذَا غَابَ عَنْهَا بَعْلُهَا لَمْ أَكُنْ لَهَا ... زَؤُورًا وَلَمْ تَأنَسْ إِلَيَّ كِلابُهَا

وَلَمْ أَكُ طَلاَّبًا أَحَادِيثَ سِرِّهَا ... وَلا عالِمًا مِنْ أَيِّ حَوْكٍ ثِيابُهَا

فالرجل أشد حرصًا على كرامتها، وغيرة على حرمتها، لا يهتك لها سترًا، ولا يفضح لها عرضًا، يعف عنها بالقول والفعل والنظر، فلا يسيء إليها بقليل أو كثير.

وعبر حاتم الطائي عن ترفعه عن الخلق الوضيع، فآلى ألاَّ يفشي سر جارته، أو يثري بأسلوب غير شريف، فقال[١١٣]:

فَأَقْسَمْتُ لا أَمْشِي إِلَى سِرِّجَارَةٍ ... مَدى الدَّهْرِ مَا دَامَ الحَمَامُ يُغَرِّدُ

وَلا أَشْتَرِي مَالاً بِغَدْرٍ عَلِمْتُهُ ... أَلاكُلُّ مالٍ خَالَطَ الغَدْرَ أَنْكَدُ

فستر الجارة مصان، وعرضها محمي في حضور الزوج وغيابه، ولو لم يكن دون داره باب، فالعربي يغض بصره حتى تأمن الجارة على نفسها، ويواريها بيتها، كما يصور مسكين الدارمي بقوله[١١٤]:

مَا ضَرَّ جَارِيَ أَنْ أُجَاوِرَهُ ... أَلاَّ يَكُونَ لِبَيْتِهِ سِتْرُ

أَعشَى إِذَا مَا جَارَتِي خَرَجَتْ ... حَتَّى يُوَارِيَ جَارَتِي الخِدْرُ

---

[١١٢] ابن قتيبة: عيون الأخبار، ٣/١٨٣.

[١١٣] ديوان حاتم الطائي: ص٣٤.

[١١٤] البغدادي، عبد القادر عمر: خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق: عبدالسلام هارون، مصر، (١٣٩٩هـ/١٩٧٩م)، ٣/٧٢.

www.mtenback.com

ما أحوجنا إلى خلق العفة هذا، لنجعل البصر حسيراً دون المحارم كبيرها وصغيرها، ظاهرها وخفيها، وخاصة حرمة الجار الذي أوصى الرسول الكريم ﷺ به، فقال: «لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه»[١١٥]. وليكف الجوارح جميعها عن المعصية، فلا يسترق السمع، ولا يتجسس، ولا يغتاب ولا يمشي إلى الرذيلة، ولا يمد يده وبصره إلى محرم، فيعف بذلك نفسه وجسده فلا تتنازعه الأهواء، ولا تجرفه ضلالات الجسم والفكر، ولهذا السلوك مظاهر يمكن للإنسان من خلالها أن ينأى بنفسه عن الرذائل إذا هو تحلى بها، يأتي في مقدمتها: الحياء، والتواضع، والقناعة، والصبر.

مظاهر العفة:

للعفة مظاهر مختلفة إذا تمثلها المرء في حياته سلوكًا ومنهجًا، صلحت ذاته، وصلح مجتمعه، فنعم كل منهما بالأمن والأمان، ومنها:

فضيلة الحياء:

للحياء منزلة كبيرة في حياة الإنسان وهو إحدى شعب الإيمان، قال ﷺ: «الإيمانُ بضعٌ وسبعونَ شعبة، فَأفضلُها قَولُ لا إله إلاّ الله، وَأدناها إماطةُ الأذى عن الطريق، والحياءُ شعبةٌ من الإيمان»[١١٦]، وهو تاج العفة، وتمام الكمال والرفعة والسعادة، فإذا ذهب الحياء وضاع أدراج الرياح، عمَّ الفساد، وفشت الرذيلة، وانقضت الفضيلة، وعاث المفسدون في الأرض فسادًا، وضاقت الدنيا بما رحبت، وتضاءلت سبل العيش فيها، ومُلَّ المقام بها كما يقول أبو تمام[١١٧]:

---

[١١٥] النووي: رياض الصالحين، ص١٣٣.

[١١٦] صحيح مسلم، ٦٣/١.

[١١٧] ديوان أبي تمام، ١٩٧/٢.

www.mtenback.com

فَلا وَاللهِ مَـــا فِـــي العَيْـــشِ خَـــيرُ وَلا الدُّنْيـــا إِذَا ذَهَـــبَ الحَيَـــاءُ
يَعِيـــشُ المَـــرْءُ مَـــا اسْـــتَحْيَا بِخَـــيرٍ وَيَبْقى العُـــودُ مَـــا بَقِـــيَ اللِّحـــاءُ

لأن من لم يتخلق بخلق الحياء، فإنه قمين بكل وصف يُدنيه من المنكر وفعـــل السوء يقول العرجي[118]:

إِذَا حُـــرِمَ المَـــرءُ الحَيَـــاءَ فَإِنَّـــــهُ بِكُـــلِّ قَبِيـــحٍ كَـــانَ مِنْـــهُ جَدِيـــرُ

فخير للمرء وخير لمجتمعه أن يحافظ على شيمة الحياء في ذاته ومسلكه، فله فيـــه فضل كبير، وسمعة حسنة، تدل على كريم المحمد، ونبل الخلق، وصفاء السريرة، يقول الشاعر[119]:

حَيَـــاءَكَ فَاحْفَظْـــهُ عَلَيْـــكَ فَإِنَّمـــا يَدُلُّ عَلى فَضْـــلِ الكَرِيـــمِ حَيَـــاؤُهُ
إِذَا قَلَّ مَـــاءُ الوَجْـــهِ قَـــلَّ حَيَـــاؤُهُ وَلا خَيْرَ فِي وَجْـــهٍ إِذَا قَـــلَّ مَـــاؤُهُ

فالحياء يبدو في نضارة وجه الحيي، وسلوكه العفيف، حتى يغدو له سمة تمـــيزه عن أقرانه، وتكسبه المهابة عند الآخرين، وهذا الفرزدق، وهو الفصيح، يعجـــز عـــن الكلام في حضرة زين العابدين علي بن الحسين، فيرتجّ عليه فيبرر ذلك بما أسبغه علـــى المقام ممدوحه من الحياء والهيبة فيقول[120]:

يُغضِي حَيَاءً وَيُغْضَـــى مِـــنْ مَهَابَتِـــهِ فَمَـــا يُكَلَّـــمُ إِلاَّ حِـــينَ يَبْتَسِـــــمُ

---

[118] ديوان عبد الله بن عمرو العرجي: رواية أبي الفتح عثمان شرح خضر الطائي، ورشـــيد العبيـــدي، بغداد، ط١، (١٣٧٥هـــ/١٩٥٦م)، ص١٨٥.

[119] ابن منقذ: لباب الآداب، ص٢٨٥.

[120] ديوان الفرزدق: دار صادر، بيروت، (١٣٨٦هـــ/١٩٦٦م)، ٢/١٧٨.

www.mtenback.com

وهذه الهيبة، وهذا الحياء في شخص ممدوح أمية بن أبي الصلت، جعلت الشاعر يحجم عن طلب بغيته خيفة أن يشوب هذا الحياء كدر، إن هو تقدم من الممدوح بما لا يحب، وهو صاحب المجد الأثيل، فقال[١٢١]:

أَأَذْكُـرُ حَـاجَتِي أَمْ قَـدْ كَفَـانِي ... حَيَـاؤُك إنَّ شَـيمتَكَ الحَيَـاءُ

وَعِلْمُـكَ بـالأُمُورِ وَأَنْـتَ قَـرْمٌ ... لَـكَ الحَسَـبُ المُهَـذَّبُ وَالسَّـناءُ

ومن الرجال من يكسوه الحياء سمتًا خاصًا، فتحسبه في كثرة الصمت وشدة الانكسار مريضًا أو به سقم أو حلّ به وهن، مع أنه من أقوى الرجال، وأشدهم بأسًا، لكنه خلق الحياء الذي تسربل به، هو الذي انعكس عليه بهذا المظهر، وإلاّ فإنه القوي في بدنه وخلقه وأخلاقه، ومن هذا النوع من الرجال توبة بن الحميّر صاحب ليلى الأخيلية التي وصفت حياءه بقولها[١٢٢]:

وَمُخَـرَّقٍ عَنْـهُ القَمِيـصُ تَخالُـهُ ... وَسْطَ البُيوتِ مِـنَ الحَيَـاءِ سَـقِيما

حَتَّـى إِذَا رُفِـعَ اللِّـواءُ رَأَيْتَـهُ ... تَحْتَ اللِّواءِ عَلى الخَمِيـسِ زَعِيمَـا

هو بين ظهراني قومه في حالة السلم والأمن متلفع بثوب الحياء، وفي ساحة الوغى أسد هصور، وفارس لا يشق له غبار، ومثله أيضًا ذلك الرجل الذي وصفه الشاعر بقوله[١٢٣]:

تَخَالُهُم لِلْحِلْـمِ صُمًّـا عَـنِ الخَنَـا ... وَخُرْسًا عَنِ الفَحْشَاءِ عِنْدَ التَّهَـاجُرِ

وَمَرْضَى إِذَا لُوقُـوا حَيَـاءً وَعِفَّـةً ... وَعِنْدَ الحِفَـاظِ كَـاللُّيُوثِ الخَـوادِرِ

---

[١٢١] ديوان أمية بن أبي الصلت: تحقيق د. عبد الحفيظ السطلي، دمشق، (١٩٧٤م)، ص٣٣٣.

[١٢٢] ديوان ليلى الأخيلية: تحقيق: جليل العطية، بغداد، ط٢، (١٣٩٧هـ/١٩٧٧م)، ص١١٠.

[١٢٣] ابن قتيبة: عيون الأخبار، ٢٧٩/٣.

www.mtenback.com

إن خُلق الحياء يدفع الإنسان إلى الترفع عن البذيء من القول، والفاحش من الفعل، فيعرض عن السفيه أو الأحمق، دفعًا للأذى عن نفسه وعرضه، لأن قلة الأدب، وقلة الدين والخلق في المرء تُسهل له فعل كل منكر كما يقول علي بن الجهم[١٢٤]:

إِذَا رُزِقَ الفَتَى وَجْهًا وَقَاحًا تَقَلَّبَ فِي الأُمُورِ كَمَا يَشَاءُ

وهذا أبو الأسود الدؤلي يصدُّ عن عمر بن أبي ربيعة بعد تعرض الأخير لزوجه وهي في الطواف يحمله إلى ذلك تحليه بالتقى والحياء والكرم، فيقول[١٢٥]:

وَإِنِّي لَيثنيني عَنِ الجَهلِ والخَنَا وَعن شَتمِ ذي القُربى خَلائقُ أَربعُ

حَياءٌ وإِسلامٌ وتُقيا وَأَنَّنِي كَريمٌ وَمثلي قَد يَضُر وَيَنْفَعُ

فالشاعر هجر الهجاء، هذا الغرض الشعري الذي عدَّله خلق الإسلام، فحوَّله من هتك للأعراض، ونبش للأحقاد، وإثارة للضغائن، إلى غرض ينافح الشاعر به فضائل المجتمع ومبادئه.

فإشارة الشاعر في الشطر الثاني من البيت الثاني تشير بجلاء إلى أن الشرف العربي مصان، وصونه من العفَّة والكرامة والحياء والإباء، فالشرف بين الأشراف نسب ولحمة، وذمام وحرمة، والكريم شقيق الكريم، والعظيم أخو العظيم.

ومن الفضائل التي هي من مظاهر العفة فضيلة التواضع، والتواضع كما يصفه الجنيد بن محمد، هو «خفض الجناح للخلق، ولين الجانب لهم»[١٢٦]، وقال الفضيل بن عياض، هو «أن تخضع للحق، وتنقاد له، وتقبله ممن قاله»[١٢٧].

---

[١٢٤] ديوان علي بن الجهم: تحقيق خليل مردم بك، بيروت، ط٢، (د.ت)، ص١٠٣.

[١٢٥] ديوان أبي الأسود الدؤلي، صنعة أبي سعيد السكري، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، بيروت، ط١، (١٤٠٢هـ/١٩٨٢م)، ص١١٨.

[١٢٦] بدوي، عبد الرحمن: الأخلاق النظرية، ص٢١١.

[١٢٧] الغزالي، إحياء علوم الدين، ٣/٣٤٣.

www.mtenback.com

والله سبحانه أولى بالتواضع لعزته وجلالته، «فلا عزّ إلا لمن تذلل لله عزّ وجل ولا رفعة إلا لمن تواضع لله عزّ وجل..»[١٢٨]، وقال ﷺ: «ما تواضع أحد لله إلا رَفعهُ الله»[١٢٩].

وأولى الخَلق بالتواضع ولين الجانب، وبسط جناح المودة والرحمة لهم، وحسن الصحبة والعشرة، الأب والأم، قال تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا . وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾[١٣٠].

فقد جعل الله صلتهم ومودتهم والتواضع وسيلة للقرب منه، عندما ربط سبحانه عبادته وطاعته بالإحسان إليهما، لأنهما أصحاب الفضل في التربية الكريمة، والتنشئة الصالحة. وزاد بالدعوة إلى برّهم والرفق بهم، فدعا الأبناء إلى معاملة الآباء بالحسنى حتى ولو كان على غير دين التوحيد، قال تعالى: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾[١٣١].

فالتواضع خُلق نبيل، وهو أحد مصايد الشرف[١٣٢]، ومن حاز هذه الفضيلة رفعه الله في الدنيا والآخرة، وزاده سموًا ورفعة حتى على السيادة والشرف، كما يقول ابن خاتمة الأنصاري الأندلسي[١٣٣]:

---

[١٢٨] المصدر السابق، ٢٤٢/٣.

[١٢٩] صحيح مسلم: ٢٠٠١/٤.

[١٣٠] سورة الإسراء: ٢٣ــ٢٤.

[١٣١] سورة لقمان: ١٥.

[١٣٢] ابن قتيبة، عيون الأخبار، ٢٦٦/٣.

[١٣٣] ديوان ابن خاتمة الأنصاري الأندلسي: تحقيق: د. محمد رضوان الداية، طبع وزارة الثقافة، دمشق، (١٣٩٢هـ/١٩٧٢م)، ص١٢٨.

www.mtenback.com

زِنْ بِالتَّواضُعِ وَالإِخْبَاتِ مُحْتَسِبًا تَفُقْ عَلاءً عَلَى أَهْلِ السِّيادَاتِ

ومن لم يتزيا بهذه الفضيلة، يُستغنى عنه ويذمم، ويجرَّد من كل فخر كما قال أحمد شوقي[١٣٤]:

وَمَنْ لَمْ يُجمِّلْ بِالتَّواضُعِ فَضْلَهُ يَبِنْ فَضْلُهُ عَنْهُ وَيَعْطَلْ مِنَ الفَخْرِ

ولهذا كان حاتم الطائي، وهو سيد قومه، يقوم على خدمة أضيافه، ويهش لهم ويبش ، ويتواضع ما دام الضيف ثاويًا عنده، يقول المقنع الكندي[١٣٥]:

وَإِنِّي لَعَبْدُ الضَّيْفِ مَا دَامَ نَازِلاً وما شيمة لي غيرها تشبه العبدا

ولا معرة أو ذلة في تواضع الرجل الكريم، فأفضل الرجال من تَواضع عن رِفعة، وزهد عن قُدرة، وأنصف من قوة[١٣٦]،وهو خيرٌ من كبرٍ أتَى من كريم أو حسيب نسيب، فقد قيل: «التواضع مع السخافة والبخل، أحمد من السخاء والأدب مع الكبر»[١٣٧].

ولو سأل المتكبّر نفسه عن أسباب الكبرياء لوجد الجواب في نفسه ففيه مظاهر الضعف والضعة، وأصل خلقه من ماء مهين: ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾[١٣٨]. وهو من تراب وإليه سيعود، وبعد ذلك كله نراه يتجبر ناسيًا ذله وهوانه وأصله، ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾[١٣٩]، يتحدى الذات الإلهية، وهو الذليل الفقير إلى

---

[١٣٤] ديوان أحمد شوقي: ١٢٧/٢.

[١٣٥] شرح ديوان الحماسة للمرزوقي، تحقيق: أحمد أمين وعبد السلام هارون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ط٢، (١٣٨٨هـ)، ج٣، ص٤٣٨..

[١٣٦] ابن قتيبة: عيون الأخبار، ٢٧١/٣.

[١٣٧] ابن قتيبة: عيون الأخبار، ٢٦٨/٣.

[١٣٨] سورة المرسلات: ٢٠ .

[١٣٩] سورة يس: ٧٨.

www.mtenback.com

الله، ولو تفكر قليلاً في كينونته، وصفاته البشرية، لعرف حقيقته، فلربما عدل عمّا يرتكبه من كبرٍ أوتيه.

فَليدع الإنسان الكبرياء، لأنها رداء الرحمن. فخفف الوطء أيها الإنسان، ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ﴾[١٤٠]، ﴿إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾[١٤١]، ويقول أبو العلاء المعري[١٤٢]:

خَفِّف الوَطءَ مَا أظُنُّ أديمَ الـ ... ـأرضِ إلاّ مِن هَذِهِ الأَجسادِ

وكن من عباد الرّحمن ﴿الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾[١٤٣]، «فلن يَدخُلَ الجنَّةَ من في قَلبِه مثقالُ ذرة مِنْ كِبر»[١٤٤]، فَلمَ الكبر إذن ولنا في رسول الله محمد ﷺ أُسوة حسنة في سلوكه، وحسن خلقه الذي يعلمنا فضيلة العفة والتواضع وغيرها، فقد كان ﷺ يُدعى إلى خبزالشعير، والإهالة والسُّنحة، فيجيب... ويقول: «إنما أنَا عبدُ آكلُ كما يَأكلُ العبدُ»[١٤٥].

ثم إن القناعة والعفَّة وجهان لعملة واحدة فخُلق العِفَّة يحتاج إلى صقل ودِربة، ومسلك خاص يرضاه الفرد لنفسه، يتمثل بالرضا والقبول بقضاء الله وقدره، والتعفف عن سؤال الناس، وعن السعي وراء مظاهر الدنيا البرّاقة، فما قُسم له سيصلُ إليه،

---

[١٤٠] سورة لقمان: ١٩.

[١٤١] سورة الإسراء: ٣٧.

[١٤٢] المعري: ديوان سقط الزند، تحقيق: د. عمر الطباع، دار الأرقم، بيروت، ط١، (١٤١٨هـ/١٩٩٨م)، ص٥٠.

[١٤٣] سورة الفرقان: ٦٣.

[١٤٤] صحيح مسلم، ٩٣/١.

[١٤٥] ابن قتيبة، عيون الأخبار، ٢٦٧/٣.

www.mtenback.com

وسيستكمل حظه منه قبل الممات، يقول الرسول الكريم: «إنَّ أَحدكمُ لَنْ يَموت حتىَّ يَستَوفيَ رِزقَهُ، فلا تستبطئوا الرِّزقَ، وَاتُّقوا اللهَ، وَأَجملوا الطَّلب»[١٤٦].

وقريب من هذا المعنى قول أبي العلاء المعري، الذي يعجب فيه من حرص الإنسان، وشدة حذره من المقدور، واتخاذ الحيطة كي لا يقع، وينسى أن ما كتب واقع لا محالة، يقول[١٤٧]:

لا تَطلبِ الغَرضَ البَعيد وَتَسْهَرِ ... مَا يُقْضَ يَأتِ وَطالبٌ لَمْ يُبهَرِ

وَالمَرءُ يَغْشَاهُ الأَذى مِنْ حَيْثُ لا ... يَخْشَاهُ فَاعْجَبْ مِنْ صُرُوفِ الأَدْهُرِ

فليؤمن الإنسان ويسلّم بأن ما قُدِّر له لن يفوته، وليدع الحرص والشره، لتطمئن نفسه، وينشرح صدره، ويهدأ باله، وتلك مسألة منوطة بالإنسان ذاته، فالنفس التي وصفت بأنها أمارةُ بالسوء، لا يحدُّ من رغباتها وشهواتها إلا الإرادة القوية القادرة على كبح جماح الهوى ويقول أبو ذؤيب الهذلي[١٤٨]:

وَالنَّفْسُ رَاغِبَةٌ إِذَا رَغَّبْتَهَا ... وَإِذَا تُرَدُّ إِلَى قَلِيلٍ تَقْنَعُ

ويقول الآخر:

وَالنَّفْسُ كَالطِّفْلِ إِنْ تُهْمِلْهُ شَبَّ عَلى ... حُبِّ الرِّضَاعِ وَإِنْ تَفْطِمْهُ يَنْفَطِمِ

---

[١٤٦] الحافظ الطبراني: المعجم الأوسط، تحقيق: د. محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، (١٤١٥هـ/١٩٩٥م)، ٤/٩٤.

[١٤٧] ديوان اللزوميات للمعري، (٢/٢٢٦).

[١٤٨] ديوان أبي ذؤيب الهذلي: شرح سوهام المصري، راجعه: د. ياسين الأيوبي، دمشق، ط١، (١٤١٩هـ/١٩٩٨م)، ص١٤٩.

www.mtenback.com

فإذا لم يملك المرء زمام نفسه، وأطلق لها العنان، أصبح عبدًا لأهوائها، أسيرًا لمغرياتها، عندئذ سيصبح كاسف البال، غير راض ولا قانع ولو ملك الدنيا وما عليها، كما يقول أبو العتاهية في أرجوزته المعروفة بذات الأمثال[١٤٩]:

إِنْ كَانَ لا يُغْنِيكَ مَا يَكْفِيكَا ... فَكُلُّ مَا فِي الأَرْضِ لا يُغنِيكَا

فمن كانت هذه حاله، لم يعرف النوم طريقاً إلى جفونه، فراح يسأل الناس، وربما يستجديهم في الكثير من حاجاته الدنيوية، وقد تُجاب حينًا، وقد يلقى الصدَّ والمنع، أحيانًا ولا يجني غير ذل السؤال، يقول عبيد بن الأبرص[١٥٠]:

مَنْ يَسْأَلِ النَّاسَ يَحْرِمُوهُ ... وَسَائِلُ اللهِ لا يَخِيبُ

فإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، فالسؤال لغير الله مَذَلَّة. قال سليمان لأبي حازم: «سَلْ حَوائجك، فقال: قد رَفعتُها إلى مَنْ لا تُخذلُ الحَوائجُ دونه»[١٥١]. ومعنى ذلك أن تطلب حاجاتك بنفسك وتسعى لها ولا تستكين ليعطيك الناس ويتفضلوا عليك.

فالتعفف والترفع من ذل السؤال لغير الله، والقناعة بما قسم الله للمرء خير تجارة، وأثمن ربح، يكسب صاحبه حُسن الثواب والثناء، كما قال الإمام علي رضي الله عنه[١٥٢]:

أَفَادَتْنِي القَنَاعَةُ كُلَّ عِزٍّ ... وَهَلْ عِزٌّ أَعَزُّ مِنَ القَنَاعَهْ

فَصَيِّرْهَا لِنَفسِكَ رَأسَ مَالٍ ... وَصَيِّرْ بَعْدَهَا التَّقْوى بِضَاعَهْ

---

[١٤٩] ديوان ابي العتاهية، ص٤٤٦.

[١٥٠] ديوان عبيد بن الأبرص: تحقيق: د. حسين نصار، مصر، ط١، (١٣٣٧هـ/١٩٥٧م)، ص١٥.

[١٥١] ابن قتيبة: عيون الأخبار، ١٨٨/٨.

[١٥٢] ديوان الإمام علي، ص١٢١

www.mtenback.com

تَحَزْ رِبْحًا وتَغْنى عَنْ بَخِيلٍ وَتَنْعَمْ فِي الجِنَانِ بِصَبْرِ سَاعَهْ

بالقناعة والصبر على المكاره، ودفع الشهوات، وعدم الانسياق وراء رغباتها، تعز النفس وتقوى ذات الإنسان ويرتفع شأنه عند الناس بقدر استغنائه عنهم وهذه فضيلة وأي فضيلة!!

فإذا ما انتقلنا إلى جانب آخر من الفضائل نرى في فضيلة الصبر شدة الاتصال بفضيلة القناعة وفضيلة الحياء، فللصبر فوائد جمة يجنيها الإنسان في الحياة الدنيا وفي الآخرة، فهو أفضل ملاذ يفزع إليه المرء في الملمات والشدائد، كما يقول الأحوص[١٥٣]:

الصَّبْرُ أَفْضَلُ شَيْءٍ تَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى الزَّمانِ إِذَا مَا مَسَّكَ الضَّرَرُ

وهو منجاة من الشرور والدواهي، وسبيل إلى النجاح والفلاح، وطريق إلى المجد والعلا، يقول أسامة بن منقذ[١٥٤]:

مَنْ رُزِقَ الصَّبرَ نَالَ بُغْيَتَهُ وَلا حَظَّتْهُ السُّعُودُ في الفَلَكِ

والله سبحانه وعد الصابرين بالخير، فبشرهم بالجنة وأنها مثوى الصابرين: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾[١٥٥]. والله سبحانه يمتحن عباده: ﴿بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوَالِ وَالأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ﴾[١٥٦]، فإن صبروا دخلوا الجنة بغير حساب.

---

[١٥٣] ابن قتيبة: عيون الأخبار، ١٢٥/٢.

[١٥٤] ديوان أسامة بن منقذ، دار صادر، بيروت، ط١، (١٩٩٦م)، ص٢٥٦.

[١٥٥] سورة البقرة: ١٥٦ــ ١٥٧.

[١٥٦] سورة البقرة: ١٥٥

www.mtenback.com

لا ريب أن عاقبة الصبر محمودة، إنها تبلّغ الأمل، وتكسب المرء الحمد والثناء، إن أدرك بعقل واع حركة الحياة، و لم يتسرع في الحكم عليها، لأن كل شيء بقدر، كما يقول البحتري[١٥٧]:

وَعَاقِبَةُ الصَّبْرِ مَحْمُودَةٌ وَلَكِنْ أَخُو الخَرْقِ مُسْتَعْجِلُ

غير أنها الطبيعة البشرية في ضيق الصدر والعجلة في استحضار الخير، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا،إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا،وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾[١٥٨].

يفيد هذا الكلم الطيب أن الصبر حلية وسلوك يعجز عنه الكثير من الناس، ولو كان سهلاً ما كان له هذا الفضل وعليه الجزاء العظيم، والناس تختلف في درجات هذه الفضيلة، ثم إنّ المرء لو وعى أهميتها، لصبّر النفس على الهوى، فلن تطول العسرة، ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا،إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾[١٥٩]، ولن يغلب عسرٌ يسرين، لذلك نسمع دعوة الإمام علي رضي الله عنه، وهو يحبب التحلي بالصبر، والإيمان بأن مقادير الأمور بيد الله وكل شيء راجع إليه، فيقول[١٦٠]:

اصبِرْ قَلِيلاً فَبَعْدَ العُسْرِ تَيْسِيرُ وَكُلُّ أَمْرٍ لَهُ وَقْتٌ وَتَدبِيرُ

وَلِلْمُهَيمِنِ فِي حَالاتِنَا نَظَرٌ وَفَوْقَ تَقْدِيرِنَا لله تَقْدِيرُ

وكم كان الصبر وسيلة إلى النصر والظفر، فكان خالد بن الوليد سيف الله المسلول، يسير في الصفوف، يصبّر الناس ويقول: «يا أهل الإسلام إن الصبر عز، وإن

---

[١٥٧] ديوان البحتري، ٣/١٩١٥.

[١٥٨] سورة المعارج: ١٩-٢٠-٢١

[١٥٩] سورة الإنشراح: ٥-٦.

[١٦٠] ديوان علي بن أبي طالب، ص٩٣.

www.mtenback.com

الفشل عجز وإنَّ النصر مع الصبر»[١٦١]، ونحن نعلم نتيجة صبرهم وما قدر لهم من النصر والظفر.

وقال نهشلُ بن حَريّ بن ضَمرة في مغزى الصبر، وفائدته يوم الكريهة[١٦٢]:

وَيومٍ كَأَنَّ المصْطَلين بحَرّهِ ... وَإِنْ لَم تَكُنْ نَارٌ وُقُوفٌ على الجَمْرِ

صَبرنَا لَهُ حتى يَبُوخَ وَإِنَّما ... تُفَرَّجُ أيَّامُ الكرِيهَةِ بالصَّبرِ

إن العِفَّة والقناعة والصبر أخلاق تحمي المرء من سجية السوء، ومذمة العقل الرديء، كما تجنبه الأمراض النفسية الخبيثة، كما أنها دواء لكل داء، وفضيلة تمنح صاحبها رضا الله، ثم محبة الخلق له وثقتهم فيه، والدعاء له بظهر الغيب، وحسبك بها من فضائل لا يتصف بها إلا الأشداء المتقون من الناس.

وإذا أنعم الله على عبده بفضل، وكساه حلية من الفضائل، لم تعدم أن ترى له حسَّادًا، فإن صبر على ما يصيبه من أذاهم زاد بذلك فضيلة إلى فضائله، والصبر على الحسود وفعله ليس سهلاً، لأنه لا يقف عند صاحبه، بل يتعداه إلى سوء الأدب مع المنعم المتفضل، يقول الشاعر[١٦٣]:

أَلا قُلْ لِمَنْ بَاتَ لِي حاسِدًا ... أَتَدْرِي عَلى مَنْ أَسَأْتَ الأدَبْ؟

أَسَأْتَ إلى اللهِ في مُلْكِهِ ... لأَنَّكَ لَمْ تَرْضَ لِي ما وَهَبْ

والحاسد لا يتقد جوفه بالحسد إلا إذا رأى فضيلة أو نعمة حلت بغيره، ويستعذب بعض القوم الحسد، لأنه مقترن دائمًا بفضل من الله عليه يصور ذلك معن ابن زائدة بقوله[١٦٤]:

---

[١٦١] ابن قتيبة، عيون الأخبار، ١٢٦/٢.

[١٦٢] البغدادي، خزانة الأدب، ٣١٣/١.

[١٦٣] ابن قتيبة، عيون الاخبار، ٨/٤.

[١٦٤] الحصري، إبراهيم: زهر الآداب وثمر الألباب، ٢٤٧/١.

www.mtenback.com

إنّي حُسِدْتُ فَزادَ اللهُ في حَسَـــدي ... لا عاشَ مَنْ عاشَ يَوْمًا غَيْرَ مَحْسُـــودِ
ما يُحْسَدُ المَـــرْءُ إلاَّ مِـــنْ فَضائِلِـــهِ ... بِالعِلْمِ وَالظُّرْفِ، أَوْ بِالبأْسِ وَالجُـــودِ

ومن جميل الفضائل التي يتحلى بها الفضلاء أن يعلم أنَّ الحسد في الناس قديم، فآدم نفسه حسده إبليس، وسعى الشيطان بين بن آدم فحسد أحدهما الآخر، الأمـــر الذي أدى إلى سفك أول دم على وجه الأرض، وغير ذلك كثير من الأمثلة إن نحـــن فتشنا في ذاكرة التاريخ، فلا عجب أن يحسّ ذوو الفضل نيران الحسد وهي تتـــأجج في صدور غائظيهم، يقول الشاعر[١٦٥]:

إنْ يَحْسِدُونِي فَـــإِنِّي غَـــيْرُ لائِمِهِـــمْ ... قَبْلِي مِنَ النّاسِ أَهْلُ الفَضْلِ قَدْ حُسِدُوا

فضيلة الشجاعة:

هي «فضيلة النفس الغضبية، تظهر عند الإنسان بحسب انقيادها للنفس الناطقـــة استعمال ما يجب في الأمور الهائلة أي لا يخاف من الأمور المفزعة إذا كـــان فعلهـــا جميلاً، والصبر عليها محمودًا»[١٦٦].

والشجاعة حد وسط بين التهور والجبن، فقد أوصى النعمان بن ثواب ابنه سعدًا بالشجاعة، فقال: «يا بُني إنَّ الصَّارم ينبو، وَالجوادَ يكبو، وَالأثرَ يعفو، فَإذا شـــهدت حربًا، فرأيت نارها تستعر، وبطلها يخطر، وبحرها يَزخر، وضَيغمها يُنصر، وجبانهـــا يجسر، فَأقلل المكثَ والانتظار، فإنَّ الفرارَ غيُر عار، إذا لم تكن طالبَ ثار، وإيـــاك أَنْ تكونَ صيدَ رِماحِهَا، وَنطيح نِطاحِهَا»[١٦٧].

---

[١٦٥] الحصري، إبراهيم: زهر الآداب، وثمر الألباب، ٢٤٧/١.

[١٦٦] مسكويه: تهذيب الأخلاق، ص ١٨.

[١٦٧] قصص العرب، ١٥٤/١.

www.mtenback.com

فالخبير بشؤون الحرب وضرامها، لا يزُّج بنفسه في أتون خطر لا طائل من ورائه، وتلك شجاعة منه وحكمة، فليس من الشجاعة في شيء أن يُصرع الرجل في رحى حرب غير متكافئة في العدد والعُدة.

ويصدر عن فضيلة الشجاعة، «النجدة، والشهامة، والحلم، والثبات، وكظم الغيظ، والوقار، والكرم...»[١٦٨]، وينجم عن الإفراط فيها «الصلف، والبذخ، والتكبر، والعجب». أما التحلل من الشجاعة بقيمتها الأخلاقية فيؤدي إلى المهانة، والشعور بالذلة، والجزع وصغر النفس، والتقاعس عن أداء الحق والواجب، وقد قيل: «الشجاع محبب إلى من يحاربه، كما أن الجبان مبغض إلى من يناسبه»[١٦٩].

وتتلخص فضيلة الشجاعة فيما يأتي[١٧٠]:

التطلع إلى جلائل الأعْمال لما فيها من سمو.

والجود، وهو الاستعداد لبذل الغالي في سبيل تحقيق جلائل الأعمال.

والصبر على المصائب والمكاره، وعدم الجزع والهلع.

وتحمل المسؤولية، والقدرة على اتخاذ القرار، والاستعداد للبذل والتضحية.

لو عدنا إلى تراثنا العربي ومكارم الأخلاق العربية، نبحث فيهما عن قيمة الشجاعة، لطالعتنا صور مشرفة متلاحقة من ضروب الشجاعة ومظاهرها فالعربي بطبعه يأنف ميتة الجبناء، ويشرفه الهلاك في ساحات الوغى، بضربة سيف أو طعنة رمح، ولا يرضى غيرها بديلاً، كما يقول الشاعر:

وَمَا مَاتَ مِنَّا سَيِّدٌ حَتْفَ أَنْفِهِ ... وَلا طُلَّ مِنَّا حَيْثُ كَانَ قَتِيلُ

---

[١٦٨] الغزالي: إحياء علوم الدين، ٣/٥٤ــ٥٥.

[١٦٩] الثعالبي: يتيمة الدهر، ٤/١٩٦.

[١٧٠] بدوي، د. عبد الرحمن: الأخلاق النظرية، ص١٧٨.

www.mtenback.com

تَسيلُ على حَـــدِّ الظُّبَـــاةِ نُفوسُـــنَا وَلَيْسَ عَلَـــى غَـــيْرِ الظُّبَـــاةِ تَســـيلُ

وقصة القائد العربي الإسلامي «خالد بن الوليد»، وموته على الفراش بعـــد أن خاض غمار حروب عدة ذوداً عن كرامة الإسلام ثم مقولته: «فـــلا نـــامت أعـــين الجبناء».

ولقد تغنى العربي بالشجاعة والشجعان، وخلّد مآثرهم، فســـجل لنـــا الأدب العربي لوحات مضيئة في معاني الشجاعة، كالصمود في وجه العاديـــات، والتصـــدي للعدوان الغاشم، والصبر على المحن، والذود عن الأهل والولدان والشرف و العـــرض، ورفض الذل والظلم، ونصرة المظلوم، ونجدة الملهوف وإغاثته دون مبالاة بـــالعواقب. فهذا عنترة العبسي يدعو إلى الصمود، وتحدي نوائب الدهر، ولو كان الموت دونهـــا، نبدأ حيث يقول[١٧١]:

إِذَا كَشَفَ الزَّمَـــانُ لَـــكَ القِنَاعَـــا وَمَدَّ إِلَيْـــكَ صَـــرْفُ الدَّهْـــرِ بَاعَـــا

فَـــلا تَخْـــشَ المنيَّـــةَ وَالقِنيهَـــا وَدَافِعْ مَـــا اسْـــتَطعتَ لَهَـــا دِفاعَـــا

فتحدي عوادي الدهر أشرف للمرء من الخنوع، والقبول بالذل والمهانة، وأكرم من هذا وأعزُّ عند العربي إغاثة الملهوف ونجدته، فالعربي صاحب عِزّة وشهامة ونخـــوة ونجدة ومروءة، فإذا ما دُعي لأمر جَلل، أو أمر حَزَب، أو طامَّة حلت بغـــيره، بـــادر لنصرة أخيه، فلبّى دعوة مَن يسأله العون، ودفع الأذى عن نفسه وأهلـــه غـــير آبـــه بالعواقب. وتلك مأثرة يرى العربي فيها مجداً مؤثلاً له ولقومه، أما التخاذل والجبن عـــن المواجهة أو اللقاء، والتهاون في عون المظلوم أو المنكوب، فهذه داهية الدواهي، وهـــي عار بحقه، تُلحق به الخزي والمعرة أبد الدهر، من هنا نفهم سرعة العربي وخفته لتلبيـــة

[١٧١] ديوان عنترة العبسي: تحقيق: خليل شرف الدين، نشر مكتبة الهلال، بيروت، (١٩٨٨م)، ص٢١٠.

www.mtenback.com

من يستنجد به أو يستصرخه، فنرى في شعرهم الألفاظ والمعاني التي تعبر عن عدم التباطؤ والتلكؤ في نصرة الداعي، كما يصور ذلك بشامة بن الغدير[١٧٢]:

إِنْ تُبْتَدَرْ غَايَةٌ يَومًا لِمَكْرُمَةٍ ... تَلْقَ السَّوابِقَ مِنَّا وَالمُصَلِّينَا

إِنَّا لَمِنْ مَعْشَرٍ أَفْنَى أَوَائِلَهُمْ ... قِيلُ الكُماةِ: أَلا أَيْنَ المُحَامُونَا

إنهم يهبُّون لمساعدة الضعيف أو من يندبهم، لا يسألونه عن أسبابه، فلربما عُدَّ سؤالهم عيبًا بحقهم، فهم يطيرون للقاء الباغي، يقول قُريط بن أنيف وقد استغاث بمازن تميم بعد أن خذله قومه في ردّ العدوان عنه، فقال يمدح مازن تميم[١٧٣]:

قَومٌ إِذَا الشَّرُّ أَبدى نَاجِذَيهِ لَهُمُ ... طَارُوا إليه زُرافَاتٍ ووحدَانَا

لاَ يَسْأَلونَ أَخَاهُمُ حِينَ يَندُبُهُم ... في النَّائباتِ على مَا قَالَ بُرهانَا

لكِنَّ قَومي وَإِنْ كَانُوا ذوي عَدَدٍ ... لَيْسُوا من الشرِّ في شَيءٍ وَإِنْ هَانَا

فالخزي كل الخزي إن قصرَّ العربي في عون أخيه، بل هو أشد فتكًا من الموت، ولقاء المعتدي والتصدي له والصبر على مصادمته أهون عند العربي من التخاذل في دفع عدوانه، والموت عنده أكرم من أن تلصق به معرَّة الجُبن، كما تقول امرأة من كندة في وصفها لثبات قومها في ساحات النزال والعراك، والصبر على بأسه وشدته، تقول[١٧٤]:

أَبَوْا أَنْ يَفرُّوا وَالقَنَا فِي نُحُورِهِمْ ... وَلَم يَرْتَقُوا مِنْ خَشْيَةِ المَوْتِ سُلَّمَا

وَلَوْ أَنَّهُمْ فَرُّوا لَكَانُوا أَعِزَّةً ... وَلَكِنْ رأوا صَبْرًا عَلى المَوْتِ أَكْرَمَا

---

[١٧٢] شامي، يحيى: موسوعة شعراء العرب، بيروت، ط١، (١٩٩٦م)، ١٢٥/١.

[١٧٣] البغدادي: خزانة الأدب، ٤٤١/٧.

[١٧٤] ابن قتيبة: عيون الأخبار، ١٩٠/٢.

www.mtenback.com

ولعلَّ أقسى ما يؤلم العربي، ويحزُّ في نفسه أن يساء إلى شرفه، وينال من عرضه، عندها تدفعه حمية الحفاظ على الكرامة للذود عن نفسه بالغالي والنفيس، والوقوف في وجه المتطاول على حسبه ونسبه، دون حسبان سيجلبه عليه مثل هذا التصدي من عواقب قد تكون وخيمة، فحسبه غسل العار، وصون الشرف والكرامة، كما يقول سعد بن ناشب المازني، بعد أن هدمت داره[١٧٥]:

سَأَغْسِلُ عَنّي العَارَ بِالسّيْفِ جَالِبًا ... عَلَيَّ قَضَاءَ اللهِ مَا كَانَ جَالِبًا
وَأَذْهَلُ عَنْ دَارِي وَأَجْعَلُ هَدْمَهَا ... لِعرضِيَ مِنْ بَاقي المذَمَّةِ حَاجِبَا
عَلَيْكُمْ بِدَارِي فَاهْدِمُوهَا فَإِنَّهَا ... تُراثُ كَرِيمٍ لا يَخَافُ العَوَاقِبَا

العربي لا يهاب الموت، لأنه يعلم أنه مصير كل حيّ، وما دام الأمر كذلك فليكن الموت في موقع الشرف، يقول المتنبي[١٧٦]:

وَإِذَا لم يَكُنْ مِنَ المَوْتِ بُدُّ ... فَمِنَ العَجْزِ أَنْ تَكُونَ جَبَانَا

وقد تكون القوة الجسدية عنوان الشجاعة، غيرأنَّ أهل الحكمة من أدباء وفلاسفة وعلماء في الأخلاق، يرون أن الحكمة صنو الشجاعة وقرينتها، فخُلق الحكمة يجُمّل الشجاع ويُزينه، كما يقول المتنبي[١٧٧]:

الرَّأْيُ قَبْلَ شَجَاعَةِ الشُّجْعَانِ ... هُوَ أَوَّلٌ وَهِيَ المَحَلُّ الثَّانِي
فَإِذَا هُمَا اجْتَمَعَا لِنَفْسٍ حُرَّةٍ ... بَلَغَتْ مِنَ العَلْيَاءِ كُلَّ مَكَانِ

---

[١٧٥] ابن قتيبة: عيون الأخبار ٢/١٨٧-١٨٨.

[١٧٦] ديوان المتنبي، (٤/٣٧٢)

[١٧٧] المصدر نفسه، (٤/٣٠٧).

www.mtenback.com

ويرى أحمد شوقي رأي المتنبي في الجمع بين الحسنيين، العقل والشجاعة، فيقول[١٧٨]:

إِنَّ الشُّجَاعَ هُوَ الجَبَانُ عَنِ الأَذَى وَأَرَى الجَرِيءَ عَلَى الشُّرُورِ جَبَانَا

فالكفُّ عن الأذى والشر المستطير، أجدى نفعًا من البطش إذا كانت مصارف الشجاعة تُسخر لمثل هذه الأمور، فبث الرعب في قلوب الناس، والتجبر والصلف لا يدخل في باب الشجاعة، إذ إن مثل هذا السلوك يشينها، فالشجاعة في العقول لا في الأجساد والأبدان، يقول المتنبي في بيان فضل العقل وضرورة ملازمته للشجاع[١٧٩]:

لاَ خَيْرَ فِي حُسْنِ الجُسُومِ وَطُولِهَا إِنْ لَمْ يَزِنْ حُسْنَ الجُسُومِ عُقُولُ

وقريب من هذا المعنى قول أحمد شوقي:

إِنَّ الشَّجاعةَ في القُلُوبِ كَثِيرَةٌ وَوَجَدْتُ شُجْعَانَ العُقُولِ قَلِيلا

فالشجاعة لها مواطنها ومظاهرها، وهي لا تنحصر في إطار القوة أو الجبروت، أو خوض غمار الحروب، فاتخاذ القرار، وتحمل المسؤولية في جليل الأمور وصغيرها، كل ذلك يتطلب شجاعة أدبية ومعنوية، وهنا يبرز دور العقل، وفضل الحكمة والرأي السديد في تدبير جلائل الأعمال التي تحتاج إلى شجاعة القلب والعقل كما يقول المتنبي[١٨٠]:

وَكُلُّ شَجاعةٍ فِي المَرْءِ تُغنِي وَلا مِثْلَ الشَّجاعةِ فِي الحَكِيمِ

ويبدو أن الجمع بين الحكمة والشجاعة عصي المنال، وإن كان غير متعذر، حتى إنه قيل: «أنىَّ يكون الشجاع حكيمًا؟»[١٨١].

---

[١٧٨] ديوان أحمد شوقي، ١/٢٧٩.

[١٧٩] ديوان المتنبي، ٢/٢١٥.

[١٨٠] ديوان المتنبي، ٤/٢٤٦.

[١٨١] الثعالبي، يتيمة الدهر، ٤/١٩٦

www.mtenback.com

وقد عدّت كتب الأدب غير واحدٍ من شجعان العرب وفرسانهم ممن ارتبط ذكرهم بصنيعة صارت مفخرة لهم على مدى الأيام، ومنهم[١٨٢] عباس بن مرداس لقوله الذي يتحدى فيه الموت[١٨٣]:

أَشُدُّ عَلى الكَتِيبَةِ لا أُبالِي أَفِيها كانَ حَتْفِي أَمْ سِواهَا

وعنترة العبسي لقوله الذي أشار فيه إلى أنه جعل نفسه دريئة تتلقى النبال دون قومه فقال[١٨٤]:

إِذْ يَتَّقُونَ بِيَ الأَسِنَّةَ لَمْ أُضَمْ عَنْها ولو أني تَضايَقَ مُقْدَمِي

وفضيلة الشجاعة لا تكون في السطو والظلم وسفك الدماء والعدوان بحق وبدون حق، ولكنها حيث يتطلبها الموقف وتدعو إليها الحاجة، فهي لباس حلية وتزيُّن، وليست لباسًا عاديًا يرتديه المرء بمناسبة وبدون مناسبة، إنها خلق لا يكشف عنه إلا في وقته، ومن تبذخ به فليس من أهله الصائنين له، المستخدمين آلته، عند طلبها، وحسبها شرفًا تفاضل العرب بها إذا تفاخرت بمفاخرها.

فضيلة المروءة:

المروءة هي كمال الرجولة والإنسانية، وطلاقة الوجه، والتودد، وقضاء الحوائج وإصلاح المال، والرزانة في المجلس[١٨٥].

وتمام المروءة أن «لا تعمل شيئًا في السر تستحي منه في العلانية»[١٨٦]، وفي هذا المعنى، قال زهير بن أبي سلمى[١٨٧]:

---

[١٨٢] قصص العرب، ٢/٢٢٦

[١٨٣] شامي، د. يحيى: موسوعة شعراء العرب، ١/١٨٢.

[١٨٤] ديوان عنترة العبسي، ص٦٦.

[١٨٥] قصص العرب، ١/١٦٢.

[١٨٦] ابن قتيبة، عيون الأخبار، ٣/٢٩٥.

[١٨٧] ديوان زهير بن أبي سلمى، ص١١٦.

www.mtenback.com

السِّتْرُ دُونَ الفَاحِشَاتِ وَمَا ... يَلقَاكَ دُونَ الخَيْرِ مِنْ سِتْرِ

وكانت قريش تعد الجود، والحلم، والسؤدد، والعفاف، وإصلاح المال من المروءة[188].

ومن القصص التي تعكس فضيلة المروءة قصة عبد قيس بن خفاف البرجمي الذي تحمل دماء قومه، ثم ناء كاهله بحملها، فقصد حاتم الطائي وقال[189]: «وقعت بيني وبين قومي دماء فتواكلوها، وإني حملتها في مالي وأهلي، فقدَّمتُ مالي، وأخَّرتُ أهلي، وكُنتَ أَملي، فإنْ تحمَّلْتَها فَرُبَّ حقٍ قد قَضيتَهُ، وَهمٍّ قد كَفيتَهُ» ثم أنشأ يقول:

حَمَلْتُ دِمَاءً لِلْبَرَاجِمِ جَمَّةً ... فَجِئْتُكَ لَمَّا أَسْلَمَتْنِي البَرَاجِمُ

وَقالوا سَفاهًا لَمْ حَملتَ دِمَاءَنَا ... فَقُلْتُ لَهُمْ: يَكْفِي الحَمَالَةَ حَاتِمُ

فحمل عنه حاتم وزر ما كان منه، فوفى دينه، وزاده مئتي بعير وقال:

أَتَاني البُرجُمِيُّ أَبُو جُبَيْلٍ ... لِهَمٍّ فِي حَمَالَتِهِ طَوِيلِ

فَقُلْتُ لَهُ: خُذِ المِرْبَاعَ مِنْهَا ... فَإِنِّي لَسْتُ أَرْضَى بِالقَلِيلِ

فَخُذْهَا إِنَّهَا مِئَتَا بَعِيرٍ ... سِوى النَّابِ الرَّذِيَّةِ والفَصِيلِ

فَلا مَنٌّ عَلَيْكَ بِهَا، فَإِنِّي ... رَأَيْتُ المَنَّ يُزْرِي بِالجَمِيلِ

وليست فضيلة المروءة محصورة في التفضل على المحتاج، وفك رقبته من احتمال حمالة أو هم دين أو نحوهما، وإنما تكون المروءة في مجالات كثيرة، فترك الكذب مروءة، والصبر من المروءة، والفقه بالأمور مروءة، ينقل ابن عبد ربه عن العتبي قوله:

---

[188] المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ٢٩/١.

[189] قصص العرب، ١٦٢/١.

www.mtenback.com

«لا تتم مروءة الرجل إلا بخمس: أن يكون عالمًا، صادقًا، عاقلاً، ذا بيان، مستغنيًا عن الناس»[١٩٠]. والشاعر يقول[١٩١]:

وَإِذا الفَتَى جَمَعَ المُـــرُوءَةَ وَالتُّقَـــى وَحَوَى مَعَ الأَدَبِ الحَيَاءَ فَقَدْ كَمُـــلْ

فضيلة الإيثار:

تفرد الإسلام بخُلق الإيثار، فقلما وجدنا نظامًا أخلاقيًا أو بشريًا، أتى بهذا الخُلق أو بشبيه له، وهو يعني الجود بما لدى المرء مما هو بحاجة إليه، ولا يَستغني عَنه على أي وجه.

وقد وصف الله المؤثرين مادحًا صنيعهم فقال تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[١٩٢].

ويقال إن هذه الآية نزلت في رجل من الأنصار، أكرم ضيفًا نزل على رسول الله ﷺ وقد أصابه النصب والتعب، حيث اصطحبه إلى بيته، قال لزوجته: لدينا ضيـــف رسول الله ﷺ، أطعميه، فقالت: ليس لدينا إلاَّ طعام الصبية، فقال الزوج: نَوميهـــم، وأطفئي السراج، حتى يَظنَّ الضَّيفُ أننا نأكل، فنزلت الآية المذكورة، فقال النبي ﷺ: «لقد عَجِبَ اللهُ من صنيعكما بضيفكمـــا الليلـــة» وأنـــزل قولـــه: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ﴾[١٩٣].

وجاء في قصص العرب أن كعب بن مامة الإيادي آثر الموت على الحياة حـــين اختار نجاة صديقه في السفر، وهلك هو، فضرب بفعله هذا مثلاً يحتـــذى في الإيثـــار، وهو موقف شجاع لا يضاهيه شجاعة أشد الفرسان في أرض المعركة، فالرجل خـــرج

---

[١٩٠] ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٢، ص٢٩٣.

[١٩١] ابن عبد ربه، بهجة المجالس، ج١، ص٦٤٤.

[١٩٢] سورة الحشر: ٩.

[١٩٣] النووي، رياض الصالحين، ص٢١٥.

www.mtenback.com

في قَفْل، ومعهم رجلٌ من بني النُّمير، وكان ذلك في حرّ الصيف، فَضَلُّوا وَشَحَّ ماؤهم، فكانوا يتصافنون الماء، وذلك بأن يطرح في القعب حصاة، ثم يُصبُّ الماء بقدر ما يغمر الحصاةَ، فشرب كل واحد منهم قدر ما يشرب الآخر.

ولما نزلوا للشرب، ودار القعب بينهم حتى انتهى إلى كعب، رأى الرَّجل النميري يُحدُّ النظر إليه، فأثرهُ بمائه على نفسه، وقال للساقي: اسقِ أخَاك النميري، فشرب النميري نَصيبَ كعب من الماء ذلك اليوم، ثُمَّ نَزلوا من الغَدِ منزلهم الآخر فقال كعب قَولةَ الأمسِ، وَارتحلَ القوم، وقَالوا: ارتحلْ يا كعبُ، فلم يكن له قوة للنهوض، وكانوا قد قربوا من الماء، فقالوا له: ردْ يا كعبُ،.. فَعجز عن الجواب، ولما أيسوا منه خيمَّوا عليه بثوب يَمنعُه من السَّبعِ أنْ يأكلَهُ، تركوهُ مكانَهُ، فَماتَ ونَجا رفيقُه[١٩٤].

وهذا غلام أسود يؤثر كلبًا على نفسه، ويعزم على أن يبيت على الطوى بعد أن ألقم الكلب حصتَّه من زاده اليَّومي، وهو ثلاثة أقراص وكان عبد الله بن جعفر وهو من كرماء العرب يراقب فعل ذاك الغلام، فلما فرغ، سأله: «كم قوتك كل يوم؟ قال: ما رأيت، قال: فَلِمَ آثرت الكلب ؟ قال: لأن أرضنا ليست بأرض كلاب، وإخاله جاء من مسافة بعيدة جائعًا، فكرهت رده، فقال فما كنت صانعًا اليوم ؟ قال: أطوي يومي هذا، فقال عبد الله ابن جعفر: والله إنَّ هذا لأسخَى مني، فاشترى النخل والعبد، وأعتقه ووهب ذلك له»[١٩٥].

هذا العبد الفقير الذي يعمل بقوت يومه آثر الحيوان على نفسه، لما رأى أن حاجة الكلب للطعام أشد مما هي عنده، فكان ثوابه هذا العطاء الكبير من جعفر الكريم لقاء القليل الذي قدمه للكلب، وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان. ولا شك أن أجره عند الله أعظم، و لم لا فالرحمة تشمل الإنسان والحيوان، وذلك خلق الإسلام،

---

[١٩٤] قصص العرب، ١/١٥٧.

[١٩٥] قصص العرب، ١/٢٢٥.

www.mtenback.com

ورد في الحديث قوله ﷺ: «عُذِّبَت امرأة في هِرَّةٍ سَجنتها حتىً ماتت، فَدخَلت فيها النَّار، لا هي أطعمتها وَسَقتها، إذْ حبستها، ولا هي تَركتها تَأكُل من خشاشِ الأَرض»[١٩٦].

ففضيلة الإيثار تحقق التكافل الاجتماعي بين البشر، فينعم الكل بالسعادة، ويسود جو الألفة والمحبة والتراحم والعون والإخاء بين فئات المجتمع كلها، غنيِّها وفقيرها، صغيرها وكبيرها، حرها وعبدها، والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه.

فضيلة الكرم:

يقول الإمام علي[١٩٧]:

إِذَا جَادَت الدُّنْيا عَلَيْكَ فَجُدْ بِها ... عَلَى النَّاسِ طُرًّا إنَّها تَتَقَلَّبُ

فَلا الجُودُ يُفْنِيها إِذَا هِيَ أَقْبَلَتْ ... وَلا البُخْلُ يُبْقِيها إِذَا هِيَ تَذْهَبُ

«الكرم»، فضيلة بل مَكرمة شَرُف بها الإنسان العربي دون غيره من الأقوام، وهو من أمهات المحاسن[١٩٨]، ففضل الكرم عظيم، وأثره الإيجابي في الفرد والمجتمع كبير، فهو يقيم التوازن بين فئات المجتمع، ويشد أواصره بحبل متين من المحبة والوئام.

ويكون الكرم بالكثير وبالقليل، يؤديه الغني والفقير، وهو من المعسر أبلغ معنى، وأشد أثرًا، «فأفضل العَطيَّة مَا كانَ من مُعسرٍ إلى مُعسرٍ»[١٩٩]، «والقليل من القليل أحمد من الكثير إلى الكثير»[٢٠٠].

والجود من مرادفاته، بذل المال أو النفس، أو كليهما، والجود بالنفس أرفع قيمة، فذللوا «أخلاقَكمُ للمطَالب، وَقُودُوهَا إلى المَحامِد، وَعلّموهَا المكارمَ، ولا تقُيموا

---

[١٩٦] صحيح مسلم، ٢٠٢٢/٤.

[١٩٧] ديوان علي بن أبي طالب، ص٣٨.

[١٩٨] ابن منقذ: لباب الآداب، ص٨٣.

[١٩٩] ابن عبد ربه: العقد الفريد، ٨٧/١ .

[٢٠٠] المصدر السابق، ٨٤/١.

www.mtenback.com

على خُلقٍ تَذُمُّونَه مِنْ غَيركُم، وَصلوا من رغبَ إليكم، وَتَحلوا بالجودِ يُلبسكمُ المحبة، وَلا تعتقدوا البخلَ، فتتعجلوا الفقر»[٢٠١]. فالبذل يكسب المرء المحامد وهو لا ينقص المال بل يزيده وينمّيه، والله يُثمره ويجزل لصاحبه العطاء والثواب، ويعوضه بأكثر مما أنفق في سبيل مرضاته، وحسب المرء فقط أن يحسن الثقة بالله، ولا يخشى الفقر من بذل، فتلك مظنة سوء بالله لا يصح للإنسان أن يتحلى بها، كما يقول محمود الوراق:

مَنْ ظَنَّ بِاللهِ خَيْرًا جَادَ مُبْتَدِئًا وَالبُخْلُ مِنْ سُوءِ ظَنَ المَرْءِ بِاللهِ

وإنفاق المال في مصارف الخير، يعودُ بالنَّفع على المُحسِن والمُحسَن إليه، ويُعين أصحاب الحاجة على قضاء حوائجهم، وَيكفّ وجه السائلين عن مذلة السؤال ويخفف عنهم مرارة طعم الفقر الذي يُحل جفون المحتاج، فيبيت ليله مؤرقًا، يشكو لنفسه همَّ المعيشة، وشظف العيش، يقول خليل مطران في بيان فضل الإحسان[٢٠٢]:

كَمْ رَدَّ فَضْلُكمُ الحَيَاةَ لِمَائِتٍ جُوعًا وَكَمْ أَبْقَى عَلَى مَوْلُودِ

كَمْ يَسَّرَ النَّوْمَ الهَنِيءَ لِسَاهِدٍ شَاكٍ وَلَطَّفَ مِنْ أَسَىً مَكْمُودِ

كَمْ صَانَ عِرضًا طَاهِرًا مِنْ رِيبَةٍ وَنَفَى أَذىً عَنْ عَاثِرٍ مَنْكُودِ

حقًا فقد تدفع الحاجة الإنسان إلى فعل المنكر، واقتراف المحرم، فيتفشى الفساد بفعل الفاقة، وقسوة الحاجة، وهذا ينعكس سلبًا على حياة الفرد والمجتمع، حيث يصبح عرضة لمآسٍ كثيرة ومضرة تسيء إلى الأخلاق والشرف.

إن قيام الإنسان بواجبه تجاه أخيه المحتاج، يطهر ماله، ويزكيه، وينقذ نفسه ومجتمعه من الانزلاق في مهاوي الرذيلة والسوء.

---

[٢٠١] المصدر السابق، ١/٨٥.

[٢٠٢] ديوان خليل مطران، دار الجليل، بيروت، (١٩٧٥م). ١/٣٦٤.

www.mtenback.com

فابذلْ صاحب المال ولا تخشَ الفقر، فالخالق الرّزاق كفل لك العوض، فجعل الحسنة بعَشْرِ أمثالها، فقال: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾[٢٠٣].

وقال ابن خاتمة الأنصاري الأندلسي في هذا المعنى[٢٠٤]:

إِذَا جُدْتَ فَجُدْ لِلنَّاسِ قَاطِبَةً ... فَالحَالُ تَفْنَى وَيَبْقَى الذِّكْرُ أَحْوالا

لا سِيَّما وَرَسُولُ اللهِ ضَامِنُهُ ... أَنْفِقْ وَلا تَخْشَ مِنْ ذِي العَرْشِ إِقْلالا

إنَّ الجواد خفيف حتى على قلب غريمه، والبخيل ثقيل حتى على قلب وارثه وحميمه[٢٠٥]، والبخل «أَذمُّ الأخلاق، وأجلبها لسوء الأحدوثة[٢٠٦]، ومن المروءة إذا كان الرجل بخيلاً أن يكتم ذلك ويتجمل»[٢٠٧].

وقد ذمَّ الإمام علي بن أبي طالب البخل، فقال[٢٠٨]:

مَا أَحْسَنَ الجُودَ في الدُّنيا وفي الدِّينِ ... وَأَقْبَحَ البُخلَ فَيمَنْ صِيغَ مِنْ طِينِ

ويكون العطاء والكرم بكلمة طيبة تمسح أسى، وتخفف ألمًا، وتأسو جراحًا، فالكلمة الطيبة صدقة، أو بسمة في وجه مُعترٍ أو عافٍ، فالبشاشة من الجود، كما يقول حاتم الطائي[٢٠٩]:

---

[٢٠٣] سورة البقرة ٢٦١.

[٢٠٤] ديوان ابن خاتمة الأنصاري، ص١٣١.

[٢٠٥] الثعالبي، يتيمة الدهر، ١٩٦/٤.

[٢٠٦] القالي، أمالي القالي، ١٩٨/١.

[٢٠٧] المصدر نفسه، ٢٣٢/١.

[٢٠٨] ديوان الإمام علي بن أبي طالب، ص١٩١.

[٢٠٩] ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٨٧/١ ــ ٨٨.

www.mtenback.com

أُضَاحِكُ ضَيْفِي قَبْلَ إِنْـــزَالِ رَحْلِـــهِ وَيَخصبُ عنـــدي وَالمحـــلُّ جَديـــبُ
وَمَا الخِصْبُ لِلأَضْيَافِ أَنْ يَكْثُرَ القِرى وَلكنّمـــا وَجـــهُ الكَرِيـــمِ خَصِيـــبُ

والمثل العربي يقول: «البُومُ البَشوشُ خيرٌ مِنَ الوَجـــهِ العَبُـــوس». فالبشاشـــة مستحبة ولا سيما ضمن نطاق الأسرة، حيث يشيع جو من المودة بين الأب وأبنائـــه وزوجه، يبعث على الإحساس بالراحة والأمان والطمأنينة، وكلما كانت هذه المؤسسة الاجتماعية سليمة الأساس، صحيحة البنيان، كان المجتمع معافى سليمًا من العلل. وقـــد قال النبي الكريم ﷺ: «إنَّ مِنْ خياركمُ أحسنكم أخلاقًا»[٢١٠].

فليصطنع الإنسان هذه السيرة الحميدة، وهذا الخلق الكريم، والذكر الطيـــب، والأحدوثة الجميلة، بالبذل والجود، واصطناع المعروف في أهله وذويه، (فَما ادّخـــرت الآباءُ للأبناءِ، وَلا أبقت الموتى للأحياء شيئًا، أفضل من اصطناع المعروف عنـــد ذوي الأحساب[٢١١].

فالمرء إمَّا ذكر طيب صالح، وإمَّا ذكر طالح سيئ، يسري كلاهما بين النـــاس مسرى النار في الهشيم، يقول أبو تمام[٢١٢]:

وَمَـــا ابْـــنُ آدَمَ إِلاَّ ذِكْـــرُ صَالِحَـــةٍ أَوْ ذِكرُ سَيئةٍ يَسْـــرِي بِهـــا الكَلِـــمُ

فمن أراد أن تكون له سيرة عطرة، فليقتدِ بأجواد العـــرب وكرمـــائهم ومـــا أكثرهم، فها هو ذا حاتم الطائي صار مضرب المثل بالجود والكـــرم فاســـتحق ثنـــاء الرسول الكريم ﷺ، الذي تمنى لقاءه لحُسن فعاله في الجاهلية، وأكرم ابنته، وعفا عنها وفك أسرها، وقد ذكرت الروايات التاريخية الكثير عن جوده وكرمه حتى إنـــه ذات

---

[٢١٠] متفق عليه، النووي، رياض الصالحين، ص٢٣١.

[٢١١] ابن عبد ربه، العقد الفريد، ١/٨٦.

[٢١٢] المصدر نفسه، ١/٨٦.

www.mtenback.com

مرة أقدم على نحَر فرسه وكان آخر ما يملك من مال، ليقري جواره، وهو وعياله أحوج الناس إلى القرى في سنة اقشعرَّت لها الأرضُ، واغبرَّ أفقُ السماء، وَراحتِ الإبلُ حُدبًا وَضنَّت المرَاضِعُ على أولادِها، وحلقت السَّنَةُ المال فلما تهوَّرَت النجومُ إذ شيءٌ رفع كسر البيت ثم عاد، فقال حاتم: من هذا ؟ قالت: جَارتك فُلانة، أتيتُك من عند صبيَةٍ يتعاوونَ عِواءَ الذئب، فما وجدت مُعوّلاً إلاَّ عليك يا أبا عدي، فقال: أعجليهم، فقد أشبعَك اللهُ وإيَّاهُم فأقبلت المرأة تحملُ اثنين، وَيمشي بجانبها أربعةُ. فقام حاتم إلى فرسه، فَوجَأ لبّتهُ بمدية، فَخرَّ، ثم كشط عن جلده، وَدَفع المديةَ إلى المرأة، فقال لها: شأنُك. قال الراوي: فاجتمعنا على اللحم، نَشوي، ونَأكلُ، ثم جعلَ يمشي في الحيّ يأتيهم بيتًا بيتًا، فيقول: هبوا أيها القوم، عليكم بالنار فاجتمعوا. وَالتفعَ في ثوبه، وجلس ينظر إلينا، فَوالله ما ذاقَ منه مُزعة، وإنّه أحوجُ إليه منّا، ثم قال[٢١٣]:

يَرَى البَخِيلُ سَبِيلَ المَالِ وَاحِدَةً ... إنَّ الجَوادَ يَرَى فِي مَالِهِ سُبُلا

وهو الذي خاطب زوجته قائلاً[٢١٤]:

إذَا مَا صَنَعْتِ الزَّادَ فَالْتَمِسِي لَهُ ... أَكِيلاً فَإِنِّي لَسْتُ آكِلَهُ وَحْدِي

كَرِيمًا قَصِيًّا أَوْ قَرِيبًا، فَإِنَّنِي ... أَخافُ مَذَمَّاتِ الأَحادِيثِ مِنْ بَعْدِي

وعثمان بن عفان، ثالث الخلفاء الراشدين جاد بكل ماله لتجهيز جيش العُسرة، ابتغاء مرضاة الله. ففي زمن خلافة أبي بكر الصديق أصاب الناس قحط، «فطلب منهم أبو بكر، الصبر حتى يفرج الله كربهم، فعلم التجار أن عير عثمان عادت من الشام بأحمال كثيرة، فتوافدوا عليه لشرائها، فقال: كم تُعطوني؟ قالوا : الدرهم درهمين، قال: أُعطيت أكثر، قالوا: أربعة، قال: أُعطيت زيادة، قالوا: يا أبَا عمرو، مَا بقي في

---

[٢١٣] ديوان حاتم الطائي، ص٤٤.

[٢١٤] قصص العرب ١/١٦٣ ــ ١٦٤

www.mtenback.com

المدينة تجارُ غَيرنا، ومَا سَبقَنا إليك أحد، فَمن ذَا الذّي أَعطَاك؟ قال: الله أعطاني بكلّ درْهمٍ عَشرة، أَعندكمُ زِيادةُ ؟ قالوا: لا، قال: فَإنّي أُشهدُه أنّي جَعلتُ مَا حَملتْ هَذه العيرُ صدقة لله على المسَاكين، وفُقراءِ المسُلمين»[٢١٥].

أبعد هذا الفعل شجاعة في البذل والكرم؟ لقد احتسب ثواب ما تحمل هذه العير عند الله، «فالله كريم يُحبُ الكرماء، جوادٌ يحبُ الجَوَدَة، يُحب مَعالَي الأخلاق ويكرهُ سَفاسِفها»[٢١٦]، و«خُلقان يُحبُّهما اللهُ عزّ وجل وَخُلقان يُبغضهما، فأما اللّذان يُحبهما اللهُ تعالى، فالسَّخاءُ وحسنُ الُخلق، وأما اللذان يُبغضهما اللهُ عزّ وجل فَالبخُل وسوءُ الخُلق»[٢١٧].

وفضل العطاء يعظم عندما تشتد إليه الحاجة وتدعو إليه الفاقة، ويقع موقعه من الفضيلة إذا شمل قريبًا مجاورًا، أو معوزًا ألجأته المحن إلى طلب المساعدة ومدّ يد العون. وما أحسن أن يقدم ذلك مع حفظ ماء الوجه على طالبه، وعدم الإساءة إلى نفسه أو إشعاره بمنّة يمنها المعطي المواسي. يقول أبو فراس[٢١٨]:

أَنَا الجَارُ لا زَادِي بَطِيءٌ عَلَيْهِمُ وَلادُونَ مَالِي فِي الحَوَادِثِ بَابُ

لقد كان للكرم أبلغ الأثر في نفوس أهله في كل زمان ومكان، وقد جعل أهله محل تقدير الآخرين واحترامهم، حتى إنّ أصحاب الألسنة الحداد من الشعراء الهجّائين المدفوعين بفعل حقدهم على الكرماء، أو بفعل حسد غيرهم لأهل الكرم لم يجرؤوا

---

[٢١٥] قصص العرب، ١/١٩١.

[٢١٦] محمد ناصر الألباني: صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)، أشرف على طبعه: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي بيروت، ط٢، (١٤٠٦هـ/١٩٨٦م)، ١/٣٧٠.

[٢١٧] المصدر نفسه، ١/٤٥٣.

[٢١٨] ديوان أبي فراس الحمداني، ص٤٠.

www.mtenback.com

على النيل من الكريم أو التطاول عليه، لأنه حمى بصنيعة الكرم ذاته وأهلـــه، فصـــان عرضه وشرفه وسمعته الطيبة وحافظ على مكانته وهيبته واحترامه بين القبائل. فهـــذا جرول بن أوس المعروف بالحطيئة، صاحب اللسان السليط، الذي لم يتورع عن هجـــاء أقرب الناس إليه. عندما عرض عليه خمسمائة ناقة ليهجو (أوس بن حارثـــة) الكريـــم الحسيب النسيب، أبى مع أن هذا العطاء يمثل مغنمًا كبيرًا له وهو الرجل الفقير، فقال: «يَا قومُ كيفَ أَهجو رجلاً حَسيبًا لا يُنكر بيتُه، كَريمًا لا ينقطع عَطـــاؤهُ، فَيْصـــلاً لا يُطعنُ على رَأية، شُجاعًا لا يُضامُ نَزيلهُ، مُحسنًا لا أَرى في بيتي شيئًا إلاّ من فضلـــه» وعندما تجرأ بشر بن أبي خازم على أوس بن حارثة، بالقول حمقًا منه، لم يجـــد، بـــين القبائل من يجيره أو ينصره من أوس، حتى من سعوا بالواقعة حسدًا منهم لم يســـتطيعوا حمايته أو دفع الأذى عنه، و لم ينج بفعلته من العقاب إلا بعد أن وقع أسيرًا في يـــد أوس الذي سجل مأثرة جديدة أضيفت إلى مكارمه وهي شيمة العفو، حيث عفـــا عنـــه، وخلّى سبيله، وأكرمه من ماله ومال أمه[٢١٩] وإذا كانت النظرة في الجاهلية إلى الكـــرم تتحرك خلف نزعة حبّ الثناء أحيانًا فإنها أيضًا كانت وراء استحسان هذه الفضيلـــة، وإنها أصبحت إحدى العادات التي يمارسها الكرماء الأسخياء ويتجملون بها طواعيـــة من تلقاء أنفسهم، يقول ابن الرومي[٢٢٠]:

لَيْسَ الكَرِيمُ الذي يُعْطِـــي عَطِيَّتَـــهُ ... عَلَى الثَّناءِ وَإِنْ أَغْلَـــى بِـــهِ الثَّمَنَـــا

بَل الكَرِيمُ الـــذّي يُعطِـــي عَطِيَّتَـــهُ ... لغَيرِ شَيءٍ سِوَى استحسانِهِ الحَســـنَا

ويخاطب أبوفراس الحمداني الأمير سيف الدولة في دهشة من صنعته ووقفتـــه المشرفة في مواجهة جنود الروم غير عابئ بالموت، باذلاً الروح في سبيل الدفاع عـــن

---

[٢١٩] قصص العرب، ١/١٧٢.

[٢٢٠] ديوان ابن الرومي، تحقيق: د. حسين نصار، مصر، ط٢، (١٩٩٣م)، ٦/٢٥٣٦.

www.mtenback.com

حياض الوطن ورفع لوائه، فلم يعد الشاعر يدري من موقف ابن عمه، أهو البذل والكرم، أم الشدة والبأس، أم هما معًا يظهرهما الرجل دون وجل من موت، أو حذر من فقر، يقول[٢٢١]:

أَشِدَّةٌ مَا أَرَاهَا فِيكَ أَم كَرَمُ ... تَجُودُ بِالنَّفْسِ وَالأَرواحُ تَصْطَلِمُ

يَا بَاذِلَ النَّفْسِ وَالأَمْوَالِ مُبْتَسِمًا ... أَمَا يَهُولُكَ لا مَوْتٌ وَلا عَدَمُ

هذا العجب من الشاعر الفارس، الذي شهدت له ساحات العراك والصدام بالفعال الجليلة مصدره أن الجود بالسهل يكون صعبًا على النفس لدى بعض الناس، فما بالك بالتضحية بالنفس، وهو غاية البذل والعطاء.

ولما كان الفضل فَضل النفس، أفاض الشعراء في معرض مدحهم في الحديث عن كرم الممدوحين وسخائهم، الذي لا حدود له، ولعل أثمنه بذل الروح لطالبيها، يقول أبو تمام[٢٢٢]:

فَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي كَفِّهِ غَيْرُ رُوحِهِ ... لَجَادَ بِهَا فَلْيَتَّقِ اللهَ سَائِلُه

وقال مسلم بن الوليد المعروف (بصريع الغواني) في هذا المعنى[٢٢٣]:

تَجُودُ بِالنَّفْسِ إِذْ أَنْتَ الضَّنِينُ بِهَا ... وَالجُودُ بِالنَّفْسِ أَقْصى غَايَةِ الجُودِ

---

[٢٢١] ديوان أبي فراس الحمداني، ص٢٦٨.

[٢٢٢] ديوان أبي تمام، ٢٩/٣.

[٢٢٣] صريع الغواني، مسلم بن الوليد: ديوانه، تحقيق: د. سامي الدهان، دار المعارف مصر، (د.ت) ص١٦٤.

www.mtenback.com

فضيلة العدل:

العَدلُ في اللغة الإنصافُ[٢٢٤]، وهو فضيلة فردية واجتماعية، فردية لأنها تدل على مزاج ذاتي عند الإنسان العادل، واجتماعية لأنها تراعي حقوق الغير[٢٢٥]، فهو الإرادة الراسخة لاحترام كل الحقوق وأداء كل الواجبات[٢٢٦].

والعدل كما يصوره الغزالي، هو «حالة للنفس وقوة بها تسوس الغضب والشهوة وتحملها على مقتضى الحكمة، وتضبطهما في الاسترسال والانقباض على حسب مقتضاها»[٢٢٧]. ويحدث هذا التحكم في النفس من اجتماع الفضائل الثلاث أي: «الحكمة، العفة، الشجاعة»، وذلك عند مسالمة هذه القوى بعضها لبعض، واستلامها للقوة المميزة حتى لا تتطالب ولا تتحرك نحو مطلوباتها على سوم طباعها، وتحدث للإنسان بها هيئة يختار بها أبداً الإنصاف من نفسه أولاً، ثم الإنصاف والانتصاف من غيره[٢٢٨]، لأن العدل يمنحه القدرة على التعويض عن الضعف أو الهزيمة وقلة الحيلة تجاه القوة والغلبة والاحتيال[٢٢٩].

ولَعَلَّ قيمة هذه الفضيلة وفضلها، جاءت من الدعوة في كتاب الله إلى العدل المطلق والنصفة من النفس وذوي القُربى، والمساواة في القضاء أو الحكم بين المتخاصمين، بتجرد مطلق، فلا تأثير للهوى والعاطفة أو الحب والكره، والغنى والفقر، أو المكانة الاجتماعية والأدبية، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ

---

[٢٢٤] المعجم الوسيط، (مادة عدل).

[٢٢٥] بدوي د. عبد الرحمن: الأخلاق النظرية، ص١٦٥.

[٢٢٦] المصدر نفسه، ص١٦٥.

[٢٢٧] الغزالي، إحياء علوم الدين، ٣/٥٤.

[٢٢٨] مسكوية، تهذيب الأخلاق، ص١٨.

[٢٢٩] بدوي د. عبد الرحمن: الأخلاق النظرية، ص١٧٠.

www.mtenback.com

بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا﴾[٢٣٠] وقال أيضًا: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾[٢٣١].

وكان عمر بن الخطاب يكثر من الوصية إلى القضاة ممن يقعدون للنظر في قضايا الناس ومشكلاتهم، فيدعوهم إلى التمسك بمنهج العدل، والحق والمساواة بين فئات الناس، فلا اعتبار للون، أو حسب، أو طبقة اجتماعية، الكل بين يدي القاضي سواء. وطلب إليهم أيضًا توخي الدقة في إصدار الحكم، ولا بأس في الرجوع عنه إن كان غير صائب، إن أحس القاضي بذلك، فالرجوع عن الخطأ فضيلة، ونجاة ألف مذنب خير من ظلم بريء كما يقال.

ففي رسالة بعثها الخليفة عمر رضي الله عنه إلى القاضي أبي موسى الأشعري أوصاه فيها بالمساواة بين المتخاصمين دون النظر إلى أي اعتبارات تخص أحدهما أو كلاهما قال: «آس بين النَّاس في وَجهك وَعَدلكَ وَمَجلسكَ، حتَّى لا يَطمع شَريفٌ في حَيفكَ ولا يَيأسُ ضَعيفٌ من عَدلك لا يمنعك قَضاء قضيَّتة اليومَ فَراجَعت فيه عَقلكَ. وهُديتَ فِيه لرُشْدك أَنْ ترجع إلى الحقِّ، فإن الحقَّ كريمٌ ، ومُراجعةُ الحقِّ خيرٌ من التَّمادي في الباطل»[٢٣٢].

وقصص العدل في التاريخ الإسلامي كثيرة، وكلها تشهد بعدالة الإسلام وسماحته، فقد اقتص الفاروق من ابن حاكم مصر «عمرو بن العاص»، لأنه ضرب

---

[٢٣٠] سورة النساء: ١٣٥.

[٢٣١] سورة المائدة: ٨.

[٢٣٢] المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ١/٩٠.

www.mtenback.com

قبطيًا داس على ثوبه، وقال قولته المعروفة «متى استعبدتم الناس، وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا». مقتديًا بالمصطفى ﷺ الذي دعا إلى احترام أهل الذمة، وعدم ظلمهم أو الجور عليهم، يقول ﷺ: «مَنْ ظَلَمَ مُعاهدًا أو تنقَصه حقَّهُ، أو كلَّفَهُ فوق طاقته، أو أَخَذَ منه شيئا بغَيرِ طِيبِ نفسٍ، فَأَنَا خَصمُه يومَ القيامة»[٢٣٣]. وها هو ذا ينتصف لليهودي زيد بن عميث الذي اتهم بالسرقة، بعد أن دس الفاعل «طعمة وهو مسلم» الدروع في داره، فبرأه من التهمة، وأعاد الحق إلى أصحابه، دون أن يبدي أي تعاطف مع من هو على دينه، لأن في ذلك ظلمًا وحاشا الله ورسوله من الظلم، أو الحيف أو الميل عن الحق وبيانه.

من هنا تبرز أهمية العدل بين الناس والدور الكبير والجليل لمن يناط به الفصل في قضايا الناس للحفاظ على الحقوق من الضياع، فهو واجب ديني ودنيوي يتطلب الإيمان والمعرفة والدراية، والروية، والصبر، والعفة، والنزاهة، والقدرة على قول الحق لا يخشى فيه لومة لائم، ومراجعة الأمر في نفسه المرة تلو المرة قبل أن ينفّذ رأيه. فمن ولي أمر المسلمين حاكمًا كان أو قاضيًا، ينبغي عليه أن يطّلع على صغير أمر المحكومين وكبيره، فإنه مسؤول عنهم، ومن غفل عن شؤون الخلق، وتفرغ لشؤونه خسر الدنيا والآخرة[٢٣٤]. لذلك كثر الوعظ والنصح لأهل الحكم والسياسة من أولياء الأمر، وتذكيرهم بالحكم بالعدل وسياسة الناس بما يرضي الله، لمن أراد فلاحًا، فلا جور، ولا ظلم، ولا حجاب دون حاجة الناس، كما قال أحد الواعظين للمنصور: «افتَح بَابكَ، وسهِّل حُجَّابكَ، وانصرِ المظلومَ، واقمع الظَّالمَ، وخُذ الفَيءَ والصَّدقَاتِ، ممَّا حلَّ وطاب، واقسمهُ بالحقّ وَالعَدل على أَهله»[٢٣٥].

---

[٢٣٣] سنن أبي داود، إمارة /٣٣

[٢٣٤] قصص العرب، ٣٤٤/٤.

[٢٣٥] المصدر نفسه، ٣٤٤/٤.

www.mtenback.com

والصلة بين الحاكم والرعية يجب أن يسودها الحب والوئام، وأن تقوم على الاحترام المتبادل بينهما، حتى يكوّنوا أسرة واحدة متماسكة متحابّة، روي أنه لما ولّي الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز، طلب من محمد بن كعب، ورجاء بن حيوة أن يشيرا عليه في أمر حكم الناس وقيادهم، فقال محمد بن كعب: «إنْ أردتَ النَّجاة من عَذاب الله، فَليَكُنْ كبير المؤمنين عندَك أبًا، وَأوسطهمُ أخًا، وأَصغَرُهُم عندك وَلدًا، فَوقِّر أباكَ، وأكرِم أخاك، وتحنّن على وَلدِك»[٢٣٦].

بهذه المقولة البسيطة لخص القائل أسس العلاقة بين السلطة والناس ويبدو من خلالها أن مسؤولية الحاكم أكبر، لأنه صاحب الحول والطول، فهو ملاذ الضعيف، وجبير الكسير، ونصير المظلوم، وخير له ولرعيته العدل والإنصاف حتى يشد كل واحد أزر الآخر بحبل متين، فالظلم إذا سرى بين الناس فإن مرتعه وخيم، وهو يؤذن بزوال النعمة عن الحاكم، ونزول النقمة به، روي أنه لمّا لجأ عبد الله بن مروان إلى ملك النوبة بعد زوال ملكه، سأله ملك النوبة عن سبب ضياع نعمتهم، فتذرَّع بتطاول العبيد عليهم، فأنكر الحاكم عليه ذلك، وقال: «ليسَ كَذلك، بَل أَنتُم قومٌ استحللتُم ما حرَّمَ اللهُ، وَركبتُم ما نهَاكُم عنه، وظلمتم من ملكتُم أمرهم، فسلبكم الله العزَّ، وَألبسكُم الذُّلَ بذنُوبكم، ولله فيكم نقمة لن تبلُغَ غَايتَها، وأَخافُ أن يَحلَّ بكم العذابُ وأنتمُ ببلدي، فيصيبني معكم، إنما الضِّيافةُ ثلاثةُ أيَّام، فَتَزوَّدوُا ما احتجتُم، وَارتحلُوا عن بلدي»[٢٣٧]. لقد خشي ملك النوبة غضب الله ومقته إن لبث هذا الظالم المستحل للحرمات في دياره مدة أطول، فطلب منه الرحيل بعد أن أدى له حق الضيافة، وتلك مكرمة إذ هو لم يتعجل طرده بحجة ما كان من سيرته غير الحميدة، «فإن الله عز وجل ليملي للظالم، حتى إذا أخذه لم يفلته»[٢٣٨].

---

[٢٣٦] المصدر نفسه، ١٢/٣.

[٢٣٧] قصص العرب، ٣٤٦/٤.

[٢٣٨] صحيح مسلم، ١٩٩٨/٤.

www.mtenback.com

والأولى مقاومة هوى النفس ومغالبته، ودفع الظلم عن الناس، والرفق بهم، حتى يسود منطق العدل والرحمة، فمن لا يَرحم لا يُرحم، ويقول أبو العتاهية الشاعر الزاهد[٢٣٩]:

لا تَمْشِ فِي النَّاسِ إلاّ رَحْمَةً لَهُمُ وَلا تُعامِلْهُمُ إلاَّ بِإِنْصَافِ

فضعف الإيمان، والبعد عن تقوى الله، وعدم الخوف منه ومراقبته في القول والعمل، ومخالفة أوامره ونواهيه، سبيل إلى ظلم الناس، وهضم حقوقهم بطريقة لا يقرها عرف ولا شرع، ومدعاة لفتح باب الشر، والقطيعة والخصام والتلاحي حتى بين ذوي الرحم أو القرابة، وتلك الطامة الكبرى والداء العضال الذي ينفث في عضد العلاقة الإنسانية، وينخر في جسدها كما ينخر السوس في القصب، فيصبح المجتمع كله عرضة للانهيار والزوال، يقول المتنبي في هذا المعنى[٢٤٠]:

وَلَمْ تَزَلْ قِلَّةُ الإِنْصَافِ قَاطِعَةً بَيْنَ الرِّجَالِ وَلَوْ كَانُوا ذَوِيْ رَحِمِ

ولا برء من هذا المرض الخبيث، ولا منجاة منه إلا بسيادة العدل والإنصاف بين الأنام، وعندئذ يحل الأمن والأمان، يقول الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه[٢٤١]:

إِذَا سُسْتَ قَوْمًا فَاجْعَلِ الْعَدْلَ بَيْنَهُم وَبَيْنَكَ تَأْمَنْ كُلَّ مَا تَتَخَوَّفُ

وكأنها مقولة الرجل الرومي الذي جاء للقاء الخليفة الفاروق عمر، صاحب أعظم سيرة في العدل وأفضلها: «عَدَلْتَ فَأَمِنْتَ فَنِمْتَ» بعد أن رآه نائمًا تحت شجرة نائية دون حرس أو حماية، مثلما اعتاد فعله أهل الحكم عندهم.

---

٢٣٩ ديوان أبي العتاهية، ص٢٤١.

٢٤٠ ديوان المتنبي، ٢٩٣/٤.

(٢٤١) قصص العرب، ٢٨٧/١.

www.mtenback.com

نعم العدل، أمن وأمان وسلام وطمأنينة في النفس والمال والولد، يعمر الكون ويحيي النفوس، لهذا حرم الله الظلم، فبدأ سبحانه بنفسه، يقول النبي الكريم ﷺ قال الله تعالى: «يا عبَادي إني حَرمْتُ الظُّلمَ على نفسي وَجَعَلتُه بينكم محُرمًا فَلا تَظَالمُوا»[٢٤٢].

فردع الظالم عن غيه وتماديه في العسف والجور فضيلة، لأن العدل والمساواة بين الناس أساس الملك، والأعراف والشرائع والأخلاق والآداب كلها، دعت إلى نبذ الظلم، وحاربته بكل صوره وألوانه، وعبرت عن مقتها له، ومقت من كانت سيرته ظالمة.

ومن مظاهر العدل الشكر والثناء، وردّ المعروف، والعفو والصفح عند المقدرة. والوفاء، وهذه كلها شيم أصيلة في الإنسان العربي، فلنقف عند بعض منها في تراثنا العربي:

فضيلة الشكر والثناء:

شيمة الحمد محمودة بين سائر البشر، وهي فضيلة واجبة لصاحب الفضل مهما كانت منزلته وفي هذا عدل وإحسان، ومدعاة للتواصل والمودة بين الناس، وقد حض الله عليه وأمر به. قال سبحانه: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾[٢٤٣].

وعاتب معاوية بن أبي سفيان قريشًا، إذ لم تنصفه، وقصرت في شكره على ما قدمه لأجلهم، فقال[٢٤٤]:

إِذَا أَنا أَعْطيْتُ القَلِيلَ شَكَوْتُمُ ... وَإِنْ أَنا أَعْطِيْتُ الكَثِيرَ فَلا شُكْرُ

---

[٢٤٢] صحيح مسلم، ١٩٩٥/٤.

[٢٤٣] سورة البقرة: ١٥٢.

[٢٤٤] معاوية بن أبي سفيان: ديوانه، تحقيق: د.فاروق أسليم بن أحمد، دار صادر، بيروت، ط١، (١٩٩٦م) ص٦٨.

www.mtenback.com

فشكرُ النعم واجب لا منّة، وَمَنْ أولى من الله سبحانه بالحمد والثناء، فنعم الله على الإنسان لا تعد ولا تحصى ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا﴾[٢٤٥]، وشكر العبد لله واجب، والإنسان مع ذلك مُثاب عليه، والأجر مضاعف له، كما وعد الله، فقال: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ﴾[٢٤٦]. وقال الأصمعي عن الثناء: «يُضاعفُ كما تُضاعفُ الحَسنات، يَكونُ الرَّجلُ سَخيًّا فيزيدُ اللهُ في سَخائه، ويَكونُ شُجاعًا فَيزيدُ اللهُ في شَجاعته»[٢٤٧].

غير أن على المرء ألا يسُرف في الحمد والثناء على الناس، حتى لا يدخل في باب الرِّياء والنفاق، وقديمًا قالت العرب: «لا تهرف بما لا تعرف»[٢٤٨].

وقال الشاعر[٢٤٩]:

لا تَحْمَدنَّ امْرأً حَتَّى تُجرِّبَهُ ... وَلا تَذُمَّنَّ مَنْ لَمْ يَبْلُهُ الخَبَرُ

أما الممدوح فيجب ألا يغتر بالثناء، فالغرور يسوق إلى التهلكة كما ذكر أحدهم في معرض وعظه للخليفة «عمر بن عبد العزيز» فقال: «لا يَغلبنَّ جهلُ القُوم بكَ مَعرفتك بنفسك، فإنَّ أُناسًا خدَعهُم الثَّناءُ، وغرَّهم شكرُ النَّاس فَهلكُوا»[٢٥٠].

ويبقى الشكر فضيلة من سمات العدالة، وهو لله أولاً، وفيما بين الناس ثانيًا، فهو واجب «لمن فوقك بالطاعة، ولنظيرك بالمكافأة، ولمن دونك بالإفضال عليه»[٢٥١].

---

[٢٤٥] سورة إبراهيم: ٣٤.

[٢٤٦] سورة إبراهيم: ٧.

[٢٤٧] ابن قتيبة، عيون الأخبار، ١٥٨/٨.

[٢٤٨] الميداني، أحمد بن محمد، ٢١٩/٢.

[٢٤٩] ابن قتيبة، عيون الأخبار، ١٧٠/٨.

[٢٥٠] قصص العرب، ٤٠٨/٢.

[٢٥١] ابن قتيبة، عيون الأخبار، ١٦٧/٨.

www.mtenback.com

فليكن هذا الخلق النبيل «ديدن الناس ولو بأقله وهو الشكر باللسان، إذا قصّرت يدك عن المكافأة»[٢٥٢].

فضيلة المعروف:

المعروف اسم لكل فعل يُعرف حُسنه بالعقل أو الشرع، وهو خلاف المنكر وهو الصنيعة يسديها المرء إلى غيره[٢٥٣]، فيصير أحدوثة بين الناس مهما كبر حجم معروفه أو صغر، يقول الخريمي في مدح محمد بن منصور بن زياد[٢٥٤]:

زَادَ مَعْرُوفُكَ عِنْدِي عِظَمًا ... أَنَّهُ عِنْدَكَ مَسْتُورٌ حَقِيرُ

تَتَنَاسَاهُ كَأَنْ لَمْ تَأْتِهِ ... وَهْوَ عِنْدَ النَّاسِ مَشْهُورٌ كَبِيرُ

وكان الحسن رضي الله عنه، يقول: «لأن أَقضِي حَاجة لأخٍ لي أحبُّ إليَّ مِنْ أن اعتكف سَنة»[٢٥٥].

وكان خالد بن عبد الله يدعو إلى اصطناع المعروف في أهله، فيقول: «أَيُّها النَّاسُ عليكم بالمعروُف، فَإنَّ فَاعِلَ المعروفِ لا يَعْدم جَوازِيَه»[٢٥٦]، وهذا المعنى استعاره الخطيب من قول الحطيئة[٢٥٧]:

مَنْ يَفْعَلِ الخَيْرَ لاَ يَعْدَمْ جَوَازِيَهُ ... لا يَذهَبُ العُرفُ بَيْنَ اللهِ والنَّاسِ

---

[٢٥٢] المصدر نفسه، ١٥٩/٨.

[٢٥٣] المعجم الوسيط، (مادة عرف).

[٢٥٤] الخريمي، إسحاق بن حسان: تحقيق: علي جواد الطاهر ومحمد جبار المعيبد، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط١، (١٩٧١م)، ص٢٥.

[٢٥٥] ابن قتيبة، عيون الأخبار، ١٧٥/٨.

[٢٥٦] ابن قتيبة، عيون الأخبار، ١٧٩/٨.

[٢٥٧] ديوان الحطيئة، ص٢٨٤.

www.mtenback.com

وأفضل المعروف يكون «بتَعجيله، وتَصغيره، وَسَتْره، فَإنّهُ إذا عجّلهُ هَنّـأهُ، وَإذَا صغّرهُ عظّمهُ، وإذَا سَتَرهُ تَمّمَهُ»[٢٥٨]، والعبرة من ذلك عدم إفساده بالمنّ فإن ذلك يذهب قيمته، ويضعف فضله. كما يقول الشاعر[٢٥٩]:

أَفْسَدْتَ بِالمَنِّ مَا أَسْدَيتَ مِنْ حَسَنٍ ... لَيْسَ الكَرِيمُ إِذَا أَسْدى بِمَنَّانِ

ويحسن بذل المعروف واصطناعه لمستحقيه، وإلا أصبح مصيره كمجير أم عامر، تلك الضبعة التي فتكت بمن أكرمها، فقال الشاعر[٢٦٠]:

وَمَنْ يَصْنَعِ المَعْرُوفَ في غَيرِ أَهْلِهِ ... يُلاقِ الَّذِي لاقَى مُجِيرُ أُمِّ عَامِرِ

الأقربون أولى بالمعروف، والله يجزيه خير الجزاء، فيزيده وينميه، والناس تطنب في مدح صاحب الفضل وثنائه. يقول زهير بن أبي سلمى[٢٦١]:

وَمَنْ يَكُ ذَا فَضْلٍ فَيَبْخَلْ بِفَضْلِهِ ... عَلَى قَوْمِهِ يُسْتَغْنَ عَنْهُ وَيُذْمَمِ

ومن وجوه المعروف رده بأحسن منه، وصور ذلك في تراثنا العربي كثيرة، ولم يستأثر بفضيلته الرجل وحده، بل شاركته في ذلك المرأة العربية أُمًا كانت أو زوجة أو بنتًا، فقد جاء في «قصص العرب» أن خُماعةَ بنت عوف بن مُحلّم، سبيت بعد موت زوجها ليث بن مالك، فسألها مروانُ القَرظ بن زنباع: من أنت ؟ فقالت: أنا خُماعةُ بنت عوف بن مُحلّم، فانتزعها من عمرو بن ذؤاب، لأنّه كان رئيس القوم، وقال لها: غطي وجهك، والله لا ينظر إليه عربي حتى أردك إلى أبيك، وضمها إلى أهله، حتى إذا دخل الشّهرُ الحرام أحسن كسوتها، وأخدمها، وأكرمها، وحملها إلى عكاظ، فلما

---

[٢٥٨] ابن قتيبة: عيون الأخبار، ١٧٧/٨.

[٢٥٩] المصدر نفسه، ١٧٧/٨.

[٢٦٠] قصص العرب، ٣٥٩/٤.

[٢٦١] ديوان زهير بن أبي سلمى، ص٢٢.

www.mtenback.com

انتهى إلى منازل بني شيبان، قال لها: هل تعرفين منازل قومك، ومنزل أبيك ؟ فقالت: هذه منازل قومي، وهذه قبة أبي، قال: فانطلقي إلى أبيك، فانطلقت، فخبّرت بصنيع مروان[٢٦٢].

وشاء القدر، فيقع مروان أسيرًا في يدي رجلٍ من بكر بن وائل، فيحضره إلى أمه التي طلبت عظيم فدائه، فقال مروان: «وكم ترتجين من فدائه، قالت: مئة بعير، قال: هي لك على أن تؤديني إلى خماعة بنت عوف بن محلم فمضت به إلى عوف بن محلم، فبعث إليه عمرو بن هند أن يأتيه به، وكان عمرو وجد على مروان في أمرٍ، فآلى ألا يعفو عنه حتى يضع يده في يده فقال عوف حين جاء الرسول: قد أجارته ابنتي، وليس إليه سبيل، فقال عمرو بن هند: قد آليت ألا أعفو عنه أو يضع يده في يدي، قال عوف: يضع يده في يدك على أن تكون يدي بينهما، فأجابه عمرو بن هند إلى ذلك فعفا عنه، وقال: لا حر بوادي عوف»[٢٦٣].

لقد أكرم الرجل وفادة المرأة، فخلصها من السبي ومذمة العار وهي جريرة كبيرة في العرف العربي، ثم ردها إلى أهلها ردًا جميلاً، فحفظت له هذه المرأة جليل صنعه وحسن معروفه، فلما حان زمن رد المعروف والوفاء بالدين الذي في عنقها، بادرت إلى أبيها وطلبت إليه أن يدخله في جوارها، وبذلك حمته وأنقذت عنقه من حد السيف، وردت معروفه بأفضل منه، وفي هذا الفعل العدل كله والإنصاف من قبل الطرفين، وهو بيان إلى أن فعل الخير لا يضيع بين الله والناس.

وليس أجمل ولا أعظم من المعروف إذا اقترن بشيمة العفو والصفح عن صاحب الذنب، ومن ثم التفضل عليه بالعطاء، حتى يصبح ذلك المعروف كالطوق في عنقه ما دام حيًا، يقول المعري[٢٦٤]:

---

[٢٦٢] قصص العرب، ١/١٦٠.

[٢٦٣] أي لا سيد به يناوئه.

[٢٦٤] ديوان اللزوميات للمعري، ٢/٢٨٣.

www.mtenback.com

إِذا عَشَرَ القَوْمُ فَاغْفِرْلَهُمْ فَأَقْدَامُ كُلِّ فَرِيْقٍ عُثُرْ

هجا الشاعر بشر بن أبي خازم أم أوس بن حارثة، وعزم أوس على قتله إذا هو أمسك به، فلما ظفر به «دَخلَ على أمِّه سُعدى، وقال: قد أتيتُك بالشَّاعرِ الذي هجاك، وَقد آليت لأقتلنه قتلة تَحْيَيْنَ بها، قالت: أوخير مِنْ ذلك قال: ما هو. قالت: إنه لم يجد ناصرًا منْك، ولا مجيرًا عليك، وإنا قوم لا نرى في اصطناع المعروف من بأس، فبحقي عليك إلا أطلقته، ورددت عليه إبله، وأعطيته من مالك مثل ذلك، ومن مالي مثله، وأرجعه، إلى أهله سالمًا، فإنهم يأسوا منه»[٢٦٥]، ففعل أوس ما أشارت عليه أمه.

أيوجد أنبل من هذا التسامح الذي صدر عن هذه المرأة العربية، ما أحلاه من خلق، وما أروعه من فعل «فالعفو من موجبات الكرم، وقبول المعذرة من محاسن الشيم»[٢٦٦].

ويختار معاوية بن أبي سفيان الصفح والعفو وتجنب القصاص من عبد الله بن هاشم بن عتبة وقد ظفر به معاوية فسأله عبد الله العفو متذرعًا بصلة القربى، وأنشد[٢٦٧]:

فَإِنْ تَعْفُ عَنِّي تَعفُ عَنْ ذَي قَرابَةٍ وَإِنْ تَرَ قَتْلِي تُسْتَحَلُّ مَحَارِمي

فقال معاوية وقد فضل العفو على القتل موضحًا علة ذلك الاختيار[٢٦٨]:

أَرَى العَفْوَ عَنْ عَلْيا قُرَيْشٍ وَسِيلَةً إِلَى اللهِ في اليَوْمِ العَصِيبِ القُماطِرِ

وَلَسْتُ أَرَى قَتْلي فَتىً ذَا قَرابةٍ لَهُ نَسَبٌ فِي حَيِّ كَعْبٍ وَعَامِرِ

---

[٢٦٥] قصص العرب، ١/١٧٣.

[٢٦٦] الثعالبي، يتيمة الدهر، ٤/٥٩.

[٢٦٧] ديوان معاوية، ص٧٦.

[٢٦٨] المصدر نفسه، ص٧٦.

www.mtenback.com

بَلِ العَفْوَ عَنْهُ بَعْدَما خَـــابَ قَدْحُــهُ وَزَلَّتْ بِهِ إِحْدَى الجُدُودِ العَـــــواثِرِ

لقد آثر العفو عن ذي قرابة طمعًا في حسن الثواب عند الله، فحسبه أن الرجل اعترف بذنبه، ففعل ما فعل عن جهل، و لم يدرك حظه من النجاح، وحسب معاوية أنه لم يحقد عليه وأراح نفسه من حقد يأكل الصدور ويمزق عرى القرابة والمودة. يقـــول الإمام الشافعي[٢٦٩]:

لَمَّا عَفَوْتُ وَلَمْ أَحْقِدْ عَلَـــى أَحَــدٍ أَرَحْتُ نَفْسِي مِنْ هَـــمِّ العَــداوَاتِ

إن المعروف، وشيمة الصفح والعفو لهما فضل كبير بين الناس، فبهمـــا تســـود المودة والألفة بين الأنام، وتُحقن الدماء، وتُضيّع الثارات، ولا سيما بين ذوي القربـــى، ويكسب المرء ثوابًا عند الله ﴿وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[٢٧٠].

فضيلة الوفاء:

الوفاء صفة لأصحاب الفطرة السليمة، والطباع الأصيلة الكريمة، والـــوفي هـــو الذي يأخذ الحق كما يعطي الحق[٢٧١]. ويكافئ على المعروف ويحفظ حق الصحبـــة وصلة القرابة ويثمن حقوق الناس ويحافظ على صلاته دائمة مستمرة.

وهو من خُلق المؤمن، لأن آية المنافق «إِذَا حدَّثَ كَذَب، وَإِذَا وَعَد أَخْلفَ، وَإذا اؤتُمن خَان»[٢٧٢]، وقد حض القرآن الكريم على شيمة الوفـــاء، فقـــال الله تعـــالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾[٢٧٣].

---

[٢٦٩] الإمام الشافعي، محمد بن إدريس: جمع وشرح: نعيم زرزور، دار الكتب العليمة، بيروت، ط١.

[٢٧٠] سورة التغابن: ١٤.

[٢٧١] المعجم الوسيط، مادة وفى.

[٢٧٢] النووي، رياض الصالحين، ص٩٨.

[٢٧٣] سورة الإسراء: ٣٤.

www.mtenback.com

وفي تاريخ العرب وأدبهم تطالعنا نماذج كثيرة غنية بالدلالات والمواقف المشرفة من ضروب الوفاء سواء في الجاهلية أو الإسلام. فهذا السموءل يُذبح ولده أمام ناظريه، ومع ذلك ظل وفيًا لامرئ القيس وورثته، و لم يخن أمانته، وقال: «لا أَغدِرُ بذمّتي، وَلا أخونُ أَمانَتي، وَلا أَتْرُك الوفَاءَ الوَاجبَ عليّ»[٢٧٤].

فقد قصده ملك كندة طلبًا لسلاح امرئ القيس ودروعه التي تركها أمانة عند السموءل، وحاصره في حصنه المسمى بالأبلق، وكان ولده خارج الحصن، فظفر به الملك، وصاح بالسموءل، فأشرف من أعلى الحصن، فلما رآه، قال له: إنَّ ولدك قد أَسرتُه وهو ذا معي، فإن سلمت إليَّ الدروع والسلاح رحلت عنك، وسلمت إليك ولدك، وإن امتنعت من ذلك ذبحت ولدك، وأنت تنظر فاختر أيهما شئت، فقال له السموءل: ما كنت لأخْفرَ ذمامي، وأُبطلَ وفائي، فاصنع مَا شئت، فَذبحَ وَلَدَه، وهو يَنظُر .

ثم لمَّا عَجزَ عن الحصن رَجعَ خَائبًا، واحتسب السموءل ذبح ولده، وصبر محافظة على وفائه، فلما جاء الموسم، وحضر ورثة امرئ القيس سلم إليهم الدروع والسلاح، ورأى حفظ ذمامه، ورعايته ووفائه به، أحب إليه من حياة ولده وبقائه، وقال في ذلك[٢٧٥]:

وَفَيْتُ بِأَدْرُعِ الكِنْدِيّ إِنِّي ... إِذَا مَا خَانَ أَقْوَامٌ وَفَيْتُ

وقصة النعمان بن المنذر في يومي السَّعد والنحْس مشهورة، وأشهر منها قصة إقلاعه عنهما التي كان «حنظلة الطائي» بطلها، فحين وفى لضامنه «قراد بن أجدع» وعاد لينفذ النعمان فيه حكم السيف، لمس النعمان صدق الرجل ووفاءه، فعفا عنه

---

[٢٧٤] قصص العرب، ١/١٥٨.

[٢٧٥] المصدر نفسه ١/١٥٩.

www.mtenback.com

وعفا عن قراد، وقال كلمته المشهورة: «وَاللهِ مَا أَدري أيهما أوفى وَأكرَم، هذا الذي نجا من القتل فعاد، أم هذا الذي ضمنه؟ وَاللهِ لا أكون ألأَم الثَّلاثة»[٢٧٦].

ومما يعكسه الوفاء على النفوس إنقاذها من مهلكات مختلفة، فكما أن نفعه مباشر لصاحبه، المتصف به، كذلك فإن نفعه يمتد إلى من يشهده أو يكون طرفًا في بذله، فهذا الهرمزان زعيم العجم، وأشد المحاربين بأسًا، لما وقع في الأسر عرض عليه الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه الإسلام، فأبى، فدعا بالسيف، فقال الهرمزان: هل لي بشربة ماء: قال: خُذها، فقال: «أنا آمن حتى أشربها؟ قال: نعم، فرمى بها، وقال: الوفاءُ يا أميرَ المؤمنين نور أبلج، قال: صدقت، ارفعوا عنه السيف، فقال: الآن أشهد أن لا إله إلاَّ الله، وَأن محمدًا عبده ورسوله»[٢٧٧].

فأي حافز أثَّر على الهرمزان فأدخله الإسلام؟! لم يكن الهرمزان خائفًا ولا مهزومًا، فالسيف لم يؤثر فيه وهو الذي حمله في وجوه المسلمين مرارًا، لكن عفو عمر عنه كان أجدى من السيف، وأوقع من الموعظة، بل كان العفو خير واعظ له، فأسلم وحسن إسلامه.

وقصص الوفاء عند العرب والمسلمين منهم خاصة كثيرة والإطناب في ذكرها لا يتسع له المجال، وهي معروفة في مظانها من كتب التراث.

ووفاء العشاق مشهور في أشعارهم؛ لكن دوافعه تمتلكها ظروف خاصة، وصار لها ما يشبه العرف عند العرب، وسنضرب عنه صفحًا، معرجين على وفاء المرأة لزوجها، وهو موقف تمتحن فيه الأنثى في حال العسر واليسر، فيكون الوفاء للحليل خير دليل لسموّ أخلاقها، كما يكون التخلي عنه شاهدًا على تنكبها له والغدر به.

---

[٢٧٦] قصص العرب، ١/١٧٠.

[٢٧٧] قصص العرب ١/١٨٤.

www.mtenback.com

فهذه سُعدى زوجة ذاك الأعرابي زمن الخليفة معاوية، ضربت خير المثل في الوفاء لزوجها، فعاملُ معاوية «مروان بن الحكم» غَصَبها من زوجها، واستخلصها لنفسه، فشكاه الأعرابي إلى الخليفة الذي أجبر عامله على طلاقها، ثم خيرها معاوية بعد قائلاً: «مَا تَقُولين يا سُعدى؟ أَيُّ أَحب إليك؟ أميرُ المؤمنين في عِزّه وشرفه وسلطانه وقصوره، وما تصيرين عنده، أو مروان بن الحكم في عسفه وجوره، أو هذا الأعرابي مع جوعه وفقره وسوء حاله»، فأنشدت:

هَذَا وَإِنْ كَانَ فِي فَقْرٍ وَإِضْرارِ ... أَعزُّ عِنْدِيَ مِنْ قَوْمِي وَمِنْ جَارِي

وَصاحِبِ التَّاجِ أَوْ مَرْوانَ عَامِلِهِ ... وَكُلِّ ذِي دِرْهَمٍ عِنْدِي وَدِينَارِي

ثم قالت: «وَاللهِ يا أمير المؤمنين، ما أنا بخاذلته لحادثة الزَّمان، وَلا لغدرات الأَيَّام، وَإِنَّ لِي مَعَهُ صُحبةً قديمةً لا تُنسى، ومحبةً لا تبلى، وَأَنا أحق مَنْ صَبَر على الضّراء كما تَنعَّمتُ في السَّراء»[٢٧٨].

فحسبها وفاء أن تضحّي بالجاه والسعة، لخليلها الذي ألف الفقر بين نفسها ونفسه، وجمعهما الوفاء بحق العشرة في العسر واليسر، يقول علي بن الجهم[٢٧٩]:

وَجَرَّبْنَا وَجَرَّبَ أَوَّلُونَا ... فَلا شَيْءٌ أَعَزُّ مِنَ الوَفَاءِ

ومن الفضائل:

فضيلة الأدب:

فهو رياضة النفس بالتعليم والتهذيب على ما ينبغي، والأديب هو من أخذ نفسه بمحاسن الأخلاق[٢٨٠]. فالأدب كما يروي ابن عبد ربه: «أكرمُ الجوَاهرِ طبيعةً، وَأنفسها قيمةً، يَرفعُ الأَحسابَ الوَضيعَة، وَيُقيد الرَّغائبَ الجَلية، ويُعزُّ بلا عشيرة،

---

[٢٧٨] قصص العرب، ٤/٢٩٠.

[٢٧٩] ديوان علي بن الجهم، ص٨٣.

[٢٨٠] المعجم الوسيط، مادة (أدب).

www.mtenback.com

ويُكثِّر الأنصارَ لغير رَزِيَّة، فالبَسُوه حِلية وتَزيَّنوه خِلَّة، يُؤنسكم في الوَحْشَة، ويَجمعُ لكم القُلوبَ المختلفة»[٢٨١].

ولقد قيل: «مَا ورَّثت الآباءُ الأبناءَ شيئًا أفضل من الأدب، إنهَّا إذَا ورَّثتها الآداب، كَسبَتْ بالآداب الأموالَ وَالجاهَ والإخوَان والدين والدنيا والآخرة، وإذا وَرَّثتها الأموالَ تَلفتِ الأموالُ، وَقعدت عُدمًا من الأموالِ والآداب»[٢٨٢].

فالأدب ثروة نفيسة، فإذا تأدّبُ المرء أي تعلم الأدب بأن راض نفسه على المحاسن، ذاع صيته، وزكا أصله، ومن «كَثُر أَدبُه كثُر شرفُه، وَإنْ كانَ قَبلُ وضيعا، وَبَعدُ صيته وَإن كانَ خَاملاً، وسَادَ وإنْ كانَ غَريبًا، وكثرت الحاجه إليه وَإنْ كَان فَقيرًا»[٢٨٣]، ولا مروءة لمن لا أدب له.

فالأدب ديني ودنيوي يرّتبط بطبيعة الأفراد ومعرفتهم وسلوكياتهم فهناك الأدب مع الله تعالى، ويكون بمعرفَة رُبوبيته، والعمل بطَاعتِه وحمده على السراء، والصبر على الضّراء[٢٨٤]، كما ذكر ابن سيرين.

ويكون الأدب مع النبي الكريم ﷺ، بالتأدب بسنته وهديه، والبعد عما يؤذيه بالقول والفعل، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾[٢٨٥].

---

[٢٨١] ابن عبد ربه، العقد الفريد، ١/٢٧١.

[٢٨٢] ابن منقذ: لباب الآداب، ص٢٢٩.

[٢٨٣] المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ١/٤٦.

[٢٨٤] المصدر نفسه، ص٢٢٨.

[٢٨٥] سورة الحجرات: ٢.

www.mtenback.com

أما الأدب مع العوام، فيكون بأن «لا تُنازِعَ من فَوقَك، وَلا تَقُولَ مَالا تَعلم، وَلا تتَعاطَى مَا لا تَنال، وَلا يخالفَ لسَانُك مَا في قَلبِكَ، وَلا قولُك فِعلكَ، وَلا تدعَ الأَمَر إذَا أَقبلَ، وَتطلبهُ إذا أدبر»[٢٨٦].

وأحسن الأدب ما تأدب به الرسول الكريم، لأنه أخذ عن خير مؤدب، فقال ﷺ: «أَدَّبني ربِّي فَأحسنَ تَأديبي»، وقال ﷺ: «اللهم أسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وأسألك كلمة الحق والرضا والغضب، وأسألك القصد في الفقر والغِنى...»[٢٨٧].

من هنا تبرز فضيلة حسن الأدب، ودورها في حياة الفرد والمجتمع، وأهمية التأدب منذ الصّغر، فمن «أدَّبَ وَلَدَهُ صَغيرًا سُرَّ به كَبيرًا»[٢٨٨]، وقيل: «مَنْ أَدَّبَ وَلَدَهُ غَمَّ حاسده»[٢٨٩]. فإن شبَّ المرء على الخصال الحميدة، وتعوَّدَ فعلها، سَهل عليه في الكبر فعل الخير والأخذ بمحاسن الأخلاق، أما إن نما وترعرع في مستنقع النقيصة والصغائر من مرذول الأشياء، «فما أشد فطام الكبير»[٢٩٠]، وحاله عندها كما قال الشاعر[٢٩١]:

إِذَا المَرْءُ أَعْيَتْهُ المُرُوءَةُ نَاشِئًا فَمَطْلَبُهَا كَهْلاً عَلَيهِ شَدِيدُ

لهذا حرص الناس على تأديب أولادهم في الصغر، لتهذيب سلوكهم بما حسن من علم وأدب، فقد أوصى عبد الملك بن مروان مؤدب ولده، فقال: «علّمهم الصدق

---

[٢٨٦] ابن منقذ، لباب الآداب، ص٢٢٨

[٢٨٧] أخرجه النسائي في كتاب السهو، حديث رقم: ١٣٠٦.

[٢٨٨] المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ٤٥/١.

[٢٨٩] المصدر نفسه ٤٥/١.

[٢٩٠] ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٣٣٨/١.

[٢٩١] المصدر نفسه ٢٧٧/١.

www.mtenback.com

كما تُعلمهُم القرآن، وَاحملهم على الأخلاق الجَميلة، وروِّهم الشِّعرَ يَشجُعوا وينجدُوا، وَجَالس بهم أَشرَف النَّاس، وأهلَ العلم منهم، فَإنهَّم أحسنُ النَّاس رِعَـةً، وأحسـنهُم أدبًا... واضْربهُم على الكَذبَ، إن الكذب يدعو إلى الفُجور، والفجور يُدعو إلى النَّـار وجَنبِّهم شَتْمَ أَعراض النَّاس، فَإنَّ الحرَّ لا يجدُ من عِرْضه عِوضاً، واحملهم علـى صلـة الأرحام، واعلم أنَّ الأدب أولى بالغلام مِنَ النسَّب»[٢٩٢].

وكان عمرو بن عتبة، يقول لمعلم ولده: «عَلِّمهُم كتابَ الله ولا تُمِلُّهـم فيـه فَيتركوه، وَلا تتَركُهم منه فَيهجُروه، رَوِّهم من الحديث أَشرَفهُ، ومن الشِّـعر أَعَفَّـهُ، وعلِّمهم سُنَنَ الحكماء»[٢٩٣].

هذه مقاييس الأدب والتأدب التي تعارف عليها أهل الحكمة والدرايـة، إنهـا تتجسد بفضيلة الصدق ونبذ الكذب، والتفقه في الدين بمعاودة قراءة القرآن الكريـم والحديث الشريف، ومدارسة الشعر الرفيع، الذي يسمو بالأخلاق، ويرقـق المشـاعر والأحاسيس، ومخالطة العلماء، والترفع عن الوضيع من القول والفعل، عندها يتجلبـب الإنسان بحلية الأدب الرفيع ويتزيا بها، ويتم له الفضل على غيره من العوام بسبب فعله الحسن، وعقله الذي يزينه العلم ويجمله الأدب، ولولا ذلك، لتساوى مع غـيره مـن المخلوقات غير الآدمية، فلم يكن لحم أطيب من لحم، ولا دم أطيبُ من دم[٢٩٤].

ومن الفضائل أيضًا:

فضيلة العلم:

العلم نور يقذفه الله في قلب من يحب[٢٩٥].

---

[٢٩٢] ابن منقذ: لباب الآداب، ص٢٣٠.

[٢٩٣] ابن عبد ربه: العقد الفريد، ٢٧٧/١.

[٢٩٤] قصص العرب، ١٤١/٢.

[٢٩٥] المعجم الوسيط، مادة علم.

www.mtenback.com

وهو أشرف الصناعات بعد النبوة، لأنه يهذب النفس، ويربأ بها عن الأخلاق الذميمة، ويرشد الناس إلى المحمود من الأخلاق والأفعال والأقوال. وبه «يسهل إدراك الفرق بين الصدق والكذب في القول، وبين الحق والباطل في الاعتقاد، وبين الجهل والقبح في الفعل»[٢٩٦]، فإذا أصلحت هذه الملكة حصّل المرء الحكمة وهي رأس الأخلاق، حيث قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[٢٩٧].

وثمرة العلم إذ عمل به القرب من الله تعالى، في الآخرة، وفي الدنيا له العز والوقار، ونفوذ الحكم على الملوك، ولزوم الاحترام في الطباع[٢٩٨].

وقد بين الإمام علي رضي الله عنه فضل العلم وقيمته الأدبية والمعنوية، وفضّله على المال فقال: «العلمُ خيرٌ من المال، العلْمُ يحرسُكَ، وأنْتَ تحرسُ المالَ، والمالُ ينُقصه النفقة، والعلم يَزكُو بالإنفاق،... ومحبةُ العلم دين يُدانُ به تكسب الطاعة في حياته، وجميلُ الأحدوثةَ بَعْدَ وفَاته، ومَنفعةُ المالِ تزول بزواله»[٢٩٩].

فالعلم مغنم كبير، وشرف عظيم، وهو خير صاحب للمرء في الحياة، به يعلو على أقرانه كما أنه رأس ماله إن افتقر، وجماله إن استغنى، يقول أبو الأسود الدؤلي[٣٠٠]:

العِلْمُ زَيْنٌ وتَشْرِيفٌ لِصَاحِبِه ... فَاطلُبْ هُديتَ فُنونَ العِلْمِ وَالأَدَبَا

العِلْمُ كَنْزٌ وذُخْرٌ لا فَنَاءَ لَهُ ... نِعْمَ القَرينُ إِذَا مَا صَاحِبٌ صَحِبَا

---

[٢٩٦] الغزالي، إحياء علوم الدين، ٥٤/٣).

[٢٩٧] سورة البقرة ٢٦٩.

[٢٩٨] الغزالي ، إحياء علوم الدين (١٢/١).

[٢٩٩] ابن عبد ربه، العقد الفريد، (٢٠٠/١).

[٣٠٠] ديوان أبي الأسود الدؤلي، (ص٣٨٣).

www.mtenback.com

فالعلم منبت العزّ والفخار، ومحط كل قيمة رفيعة، فحريٌّ بالمرء أن يحرص على التزود منه، ليحوز المجد والسناء. يقول الإمام الشافعي في بيان فضل العلم والتعلم[٣٠١]:

العِلْمُ مَغْرِسُ كُـلِّ فَخْـرٍ فَـافْتَخِرْ ... وَاحْذَرْ يُفوتُكَ فَخْـرُ ذَاكَ المَغْـرِسِ

فَلَعلَّ يَوْمًا إِنْ حَضَـرْتَ بِمَجْلِـسٍ ... كُنْتَ الرَّئيسَ وَفَخْـرَ ذَاكَ المَجْلِـسِ

والنفس بلا علم ولا أدب، أشبه بجسد بلا روح، أو صحراء قاحلة لا حياة فيها ولا رواء، وهو سبيل إلى الهلكة والموت، يقول أحمد شوقي[٣٠٢]:

تَرْكُ النُّفُوسِ بِـلا عِلْـمٍ وَلا أَدَبِ ... تَرْكُ المَرِيـضِ بِـلا طِـبٍّ وَلا آسِ

فالجهل داء، والعلم دواء وشفاء للناس، والسعيد من حاز علمًا نفع به نفسه أولاً ومن حوله ثانيًا، فالعلم يقود صاحبه إلى طاعة الله وعبادته حق العبادة لعلمه ببواطن الأمور وظواهرها، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[٣٠٣] وسجل معاذ بن جبل كلمة جامعة في فضل العلم والعلماء في الدنيا والآخرة، فقال: «تعلَّموا العلمَ، فَإنَّ تَعلُّمَهُ لله خَشيةٌ، وَطلبَهُ عَبادةٌ، ومدارستَهُ تسبيحٌ، والبحثَ عنه جهادٌ، وتَعليمهُ مَنْ لا يَعلمُه صَدقةٌ، وَبذلهُ لأهله قُربةٌ، وَهو الأَنيسُ في الوحدَة، والصَّاحبُ في الخَلوة، والدَّليلُ على الدِّين، وَالمصبرعلى السراء وَالضَّرَّاء، ومنارُ سَبيل الجنَّة، يَرفعُ اللهُ به أَقوامًا، فيجعلهم في الخير قَادةً وَسَادةً هُداة.. لأَنَّ العلمَ حَياةُ القُلوب من العَمى، وَنورُ الأَبصارِ منَ الظُّلَم، يبلغُ به العبدُ منازل الأَبرار، والتَّفكّر فيه يُعدَلُ بالصّيام، ومدارستُه بالقيام، به يُطاعُ اللهُ عزّ وجلّ، وبه تُوصل الأَرحام، وبه يُعرَفُ الحلالُ وَالحرامُ، يُلهمه القُراءُ، وَيحُرمه الأَشقياء»[٣٠٤].

---

[٣٠١] ديوان الإمام الشافعي، ص٦٩.

[٣٠٢] ديوان أحمد شوقي، ٢/٦١.

[٣٠٣] سورة فاطر: ٢٨.

[٣٠٤] الغزالي: إحياء علوم الدين، ١/١١.

www.mtenback.com

من هنا جاءت الدعوة إلى طلب العلم واتباع العلماء، والحرص على حضور مجالسهم، على لسان الأنبياء وأهل الحكمة، لما للعلم من فضل في إزاحة ستار الظلمة، وهو ينير العقول المتحجرة، فيكشف عنها غشاوة الجهل والضلال، وقد كان لقمان الحكيم يوصي ابنه بمجالسة العلماء، فيقول: «يَا بُنيَّ جَالسِ العُلماءَ، وَزَاحِمهُم برُكبتكَ، فإنَّ اللهَ يحيي القُلوبَ بنور الحكمة، كما يحيي الأرض بوابلِ السَّماء»[٣٠٥].

ومن وصايا العرب في هذا المضمار: «جالسْ أهلَ العلمِ، فإنْ جَهلتَ عَلَّموكَ وَإنْ زَلَلتَ قَوَّمُوك، وَإنْ أَخْطَأتَ لم يُفتِّدُوك، وَإنْ صَحبتَ زَانُوك، وَإنْ غبتَ تَفقَّدوك، وَلا تُجالسْ أَهلَ الجَهلِ، فَإنَّك إن جَهلت عَنَّفُوك، وَإنْ زَلَلتَ لم يُقومُوْك، وَإنْ أَخطَأتَ لم يثبتوك»[٣٠٦].

ويكفي إشادة بالعلماء أن يقول الله فيهم: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾[٣٠٧]، وهو الذي فضلهم على العالمين، فقال: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾[٣٠٨]، بل أكثر من ذلك فقد ربط الله تعالى بين العلماء والأنبياء في القدرة على استنباط الحقائق، وكشف حكم الله وتدبيره في أمور كثيرة، فقال تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾[٣٠٩].

---

[٣٠٥] الغزالي: إحياء علوم الدين، ١١/١.

[٣٠٦] القالي: أمالي القالي، ٦٨/٢.

[٣٠٧] سورة آل عمران ١٨.

[٣٠٨] سورة المجادلة ١١.

[٣٠٩] سورة النساء ٨٣.

www.mtenback.com

وقد رفع الحديث الشريف درجتهم على العُبّاد والزُّهاد، وجعلهم ورثة الأنبياء، فقال الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم في بيان فضل العلماء: «يَشفعُ يوم القيامة ثلاثةُ: الأنبياءُ، ثم العلماءُ، ثم الشهداءُ»[٣١٠] فقدم العلماء على الشهداء لما لهم من فضل كبير عند الله وقال أيضًا ﷺ: «فَضلُ المؤمنِ العَالِمِ على المؤمنِ العَابدِ بَسبعين دَرجَة»[٣١١].

فلا بدع بعد ذلك إن سهَّل الله لهم طريقًا إلى الجنة، فغفر لهم ما تقدم من ذنبهم صغيرًا كان أو كبيرًا، كما أشار حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، عن بعث الله العباد يوم القيامة، حيث يخاطب العلماء، فيقول: «يا معشر العُلماء إنيِّ لم أَضَعْ علمِي فيكم ّإلا لعلمي بكم، و لم أَضَعْ علمي فيكم لأُعذّبكُم، اذهَبُوا فَقَدْ غَفَرتُ لكم»[٣١٢].

وحسبهم مكانة اجتماعية أن ينظر إليهم من خلال منازل الشرف، فإذا كان المُلوكُ حُكّامًا على النَّاس، فَالعلماءُ حَكام على الملوك[٣١٣]، إنهم المنارةُ للهُدى، يستضيء الناس بنور علمهم، ويتفيَّأون ظلال معرفتهم، وثمرة علمهم وحكمتهم، كما يشير إلى ذلك الإمام علي رضي الله عنه بقوله[٣١٤]:

مَا الفَضْلُ إلاَّ لأَهْلِ العِلْمِ إنَّهُمُ ... عَلَى الهُدى لِمَنِ اسْتَهْدى أَدلاَّءُ

فَفُزْ بِعِلْمٍ وَلا تَطْلُبْ بِهِ بَدلاً ... فَالنَّاسُ مَوْتَى وَأَهْلُ العِلْمِ أَحْيَاءُ

---

[٣١٠] سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد العزويني: تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (د.ت) ١٤٤٣/٢.

[٣١١] السيوطي، جلال الدين: الجامع الصغير من حديث البشير النذير، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش (١٤١٧هـ/١٩٩٦م) ٦٥٧/٢.

[٣١٢] الغزالي، إحياء علوم الدين، ٧/١.

[٣١٣] ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٢٠١/١.

[٣١٤] ديوان الإمام علي بن أبي طالب ص٥.

www.mtenback.com

وقد كان السلف ينظرون للعلماء نظرة وفاء واحترام، فوضعوا ما يشبه القانون التربوي للتعامل معهم، إدراكًا لمنزلتهم، واعترافًا بفضلهم فقالوا: «ومن حَقّ العَـــالِم إذا أَتيتَهُ أَنْ تُسلِّمَ عليه خَاصة... وَتجلسَ قُدَّامَهُ، وَلا تُشرْ بيْدك، وَلا تَغمزْ بعَينك وَلا تَأخُذ بِثَوبه وَلا تُلحّ عليه بالسُّؤال، فإنَّهُ بمَنزلَةِ النَّخلةِ المرطبةِ التي لاَ تَزالُ يَسقطُ عليكَ منهـــا شيء»[٣١٥].

إن تقدير العلماء وتبجيلهم أمر واجب ومحبب، لما تحمله هذه الكوكبة من أمانة لها دور كبير في حياة الناس والمجتمع، فإن هي قصرت في أداء أمانتها نزل بها العقـــاب، وحاق بها العذاب يوم القيامة، فمن «سُئل عن علمٍ فكتمه، أَلجَمهُ اللهُ يـــومَ القِيَامَـــةِ بلجَام من نار»[٣١٦].

فكما أن للعالم حقّ الطاعة والولاء والتقدير، فإنَّ عليه واجب البذل والعطـــاء، وكما أن النَّار لا ينقُصها ما أُخذَ منها، فكذلك العلمُ لا يُفْنيه الاقتباسُ منه، «وعلم بلا عمل كشجرة بلا ثمرة»[٣١٧].

ثم إن العالم لا يكون فضله بعلمه فقط، بل ينبغي أن يتحمل بمحاسن الأخلاق، فلا يحتقرُ مَنْ دونه، وَلا يحسد من فوقه، ولا ينتحل العلم، ولا يدعي المعرفة دون وجـــه حق، وأن يتواضع، ويتصف بالعفَّة والسماح، لأن زَلّة العالم خطأ كبير.

فضيلة حُسن الخلق:

سئل الرسول ﷺ فقيل: «ما الدين؟ قال: حُسن الخلق، وقيل يا رسول الله: ما الشؤم؟ قال سوء الخلق»[٣١٨] فحسن الخلق معادل للدين بل هو من الإيمان، ولذلـــك

---

[٣١٥] ابن عبد ربه: العقد الفريد، ١/٢٠٣.

[٣١٦] النووي: رياض الصالحين، ص٤١١، رواه أحمد في المسند والترمذي وابن ماجة.

[٣١٧] المصدر نفسه، ٢/٤٢٩.

[٣١٨] المصدر نفسه، ٣/٤٩.

www.mtenback.com

بيَّن رسول الله ﷺ، فقال: «مَا مِن شيء أثقلُ في ميزان المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق»[٣١٩]. وقال الأحنف بن قيس: «ألا أدلكم على المحمدة بلا مرزِأة، الخلقُ السجيح، ألا أخبركم بأدوأ الداء، الخُلق الدَّني، واللسان البذي»[٣٢٠].

وقد وصف الله تعالى الرسول الكريم بالخلق الحسن، وهو المُحصن بمكارم الأخلاق، فقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٣٢١].

وخُلقه ﷺ خلق المؤمن الموصُوف بقوة الإيمان وصدقه والرفق في القول، والأمانة في العمل، والقناعة في الغنى والفقر، والعفَّة عن المحارم، والجود والكرم، فالخلق الكريم هو «قوة في دين، وحزم في لين، وحرص على العلم، وقناعة في فقر، ورحمة للمجهود، وإعطاء في حق، وبر في استقامة، وكسب في حلال»[٣٢٢].

وقد جمع الإمام علي مكارم الأخلاق هذه بقوله[٣٢٣]:

إنَّ المكَارِمَ أَخْلاَقٌ مُطهَّرَةٌ ... فَالدِّينُ أَوَّلُهَا وَالعَقْلُ ثَانيهَا

وَالعِلمُ ثَالثُهَا وَالحِلمُ رَابعُهَا ... وَالجودُ خَامِسُهَا وَالصّدقُ سَادِيُها

وَالبرُّ سَابِعُها وَالصَّبرُ ثَامنُهَا ... وَالشُّكْرُ تَاسِعُها وَاللِّينُ بَاقِيهَا

وقد أفاض الشعراء في بيان شيمة الخلق الحسن ومزاياه وفضائله، لما في ذلك من صلاح الفرد والمجتمع، ولما لفقده من عواقب وخيمة وآثار سلبية، فيقول أبو تمام[٣٢٤]:

إِذَا جَارِيتَ فِي خُلُقٍ دَنِيئًا ... فَأَنْتَ وَمَنْ تجارِيهِ سَوَاءُ

---

[٣١٩] النووي، رياض الصالحين، ص٢٣٢.

[٣٢٠] المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ١/٧٥.

[٣٢١] سورة القلم:٤.

[٣٢٢] الحصري: زهر الآداب وثمر الألباب، ٢/٦١٩.

[٣٢٣] ديوان الإمام علي بن أبي طالب، ص٢٠٧.

[٣٢٤] ديوان أبي تمام، ٢/١٩٧.

www.mtenback.com

فمن يعاشر أهل السوء، يتأذى برفقتهم وإن لم يكن يجاريهم في فعالهم وأقوالهم فقد قيل: كل على دين خليله، فقل لي من تخالل أَقُلْ لك من أنت وجاء في الحديث الشريف: «إنّما مثلُ الجليس الصالح وجَليس السوء كحامل المسكِ ونافخِ الكير، فحاملُ المسك إمّا أَنْ يُحذيك ، وإماَ أن تبتَاع منه، وإماَ أن تجد منه ريحًا طيبة، ونافخُ الكير إما أن يحُرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحًا منتنة»[٣٢٥].

وفي سياق هذا المعنى وبيان أثر العادة طيبة أو سيئة على صاحبها يقول جرير[٣٢٦]:

تَعَوَّدْ صَالِحَ الأَخْلاقِ إِنِّي ... رَأَيْتُ المَرْءَ يَلْزَمُ مَا اسْتَعَادَا

ففي اعتياد المرء الأخلاق الصالحة، صلاح نفسه، واستقامة سلوكه، وصار أكثر نفعًا لذاته ولمجتمعه، يقول أحمد شوقي[٣٢٧]:

صَلاحُ أَمْرِكَ لِلأَخْلاقِ مَرْجِعُهُ ... فَقَوِّمِ النَّفْسَ بِالأَخْلاقِ تَسْتَقِمِ

فإذا رزق الإنسان هذه الفضيلة، فقد منّ الله عليه بالخير الكثير، والفضل الكبير، فأعطاه في الدنيا حب الآخرين له وتقديرهم واحترامهم، وفي الآخرة له حسن الثواب كما يقول حافظ إبراهيم[٣٢٨]:

فَإِذَا رُزِقْتَ خَلِيقَةً مَحْمُودَةً ... فَقَدِ اصْطَفَاكَ مُقَسِّمُ الأَرزَاقِ

أما إن حُرم حسن الخلق، فانحرف عن جادة الصواب والحق، فسيصاب بأخبث الأمراض النفسية ألا وهي: «الحسد والبخل والجهل والزهو والعجب، وغيرها من

---

[٣٢٥] صحيح مسلم، ٢٠٢٦/٤.

[٣٢٦] ديوان جرير: تحقيق: محمد إسماعيل الصاوي، بيروت ،دون تاريخ للطبع، ص١٣٥.

[٣٢٧] ديوان أحمد شوقي، ١٩٤/١.

[٣٢٨] ديوان حافظ إبراهيم: تحقيق: أحمد أمين، أحمد الزين، إبراهيم الأبياري، بيروت، (١٩٦٩م) ٢٨٠/١.

www.mtenback.com

الصفات الذميمة مما يجلب لنفسه الهلكة، ويقودها إلى شفير الهاوية، لأن الحسد مـــاحق الحسنات، والزّهو جالب لمقت الله، والعُجْب صارف عن الازدياد من العلم، وداع إلى الجهل، والبخل أذم الأخلاق، وأجلبها لسوء الأحدوثة»[٣٢٩]، ولذلك قيل: «لا يســـود سيئ الأخلاق، ولا شرف لسيئ الأدب»[٣٣٠].

يقول أحمد شوقي[٣٣١]:

وَإِذَا أُصِيبَ القَوْمُ فِـــي أَخْلاَقِهِـــمْ فَـــأَقِمْ عَلَيْهِـــمْ مَأْتَمًـــا وَعَوِيـــــلا

لذلك يُستحب في الإنسان أن يتخلق بأحسن الخلق، ويتحلى بالخلال الفاضلـــة والصفات الحميدة، من علم وأدب وكرم ونحو ذلك، وأفضل ذلك كله التدين. وقـــد بسط أحد البلغاء ما يحمد في الرجل من صفات كريمة وفضائل ســـامية فهـــو[٣٣٢]: «بَسيطُ الكفّ، رحبُ الصدر، موطأ الأكناف، سهلُ الخلق، كريمُ الطبـــاع، غيـــثٌ مغيث وبحرٌ زخور، ضحوكُ السّن، بشيرُ الوجه، بادي القبول، غير عبوس، يَســـتقبلُك بطلاقة، ويُحيّيكَ ببشر، ويَستدبُرك بكرم غيب، وجميل ســـتر، تُبهجـــك طلاقتـــه، ويُرضيك بِشْره، ضحّاك على مائدته، عبد لضيفانه، غير ملاحظ لأكيله، بَطِيـــنٌ مـــن العقل، حميص من الجهل، راجح العلم، ثاقبُ الرأي، طيبُ الخُلق، معطاءُ غير ســـائل، كاسٍ من كل مكرمة، عارٍ من كل مَلامة، إن سُئل بذل، وَإن قال فعل».

جميل هذا الخلق الذي أجملته هذه العبارة في وصف الرّجل الكـــامل في ذاتـــه وصفاته، فالكرم والبشاشة والفطنة والعلم، والوداعة واللطف والظُرف، خلال محمـــودة

---

[٣٢٩] القالي، أمالي القالي، ١/١٩٨.

[٣٣٠] المصدر نفسه، ١/٢٣٠.

[٣٣١] ديوان أحمد شوقي، ١/١٨٣.

[٣٣٢] الحصري: زهر الآداب وثمر الألباب، ٢/٦١٩.

www.mtenback.com

كلها، وقد قال الرسول الكريم: «إن من خياركم أحسنكم أخلاقًا»[٣٣٣]، فطباع المرء وسلوكه بين الناس يعكس رد فعل الآخرين تجاهه سواء في محيط البيت أو العمل أو أي مجتمع آخر، فكلما ذاب المرء رقة وعذوبة، وتحمّل بحسن الخلق، جاء موقف الآخرين منه طيبًا محمودًا.

وللمرأة العربية نظرتها الخاصة في فضائل الرجال، ولعلنا نستأنس بما تراه المرأة من فضائل في أبيها، ففضائله فخر لها، فبم تفخر على غيرها من النساء إذا عُدّت فضائل الآباء؟! يُذكر أن العجفاء بنت علقمة السعدي وثلاث نسوة من قومها، رحن يتساءلن عن أفضل الرجال، فقالت إحداهن: «إنَّ أبي يكْرِمُ الجار، ويُعظمُ النار، وينحر العِشاربعد الحُوار، ويحمل الأمورَ الكبار، وَيأنفُ من الصّغار».

فقالت الثانية: «إنَّ أبي عظيمُ الخطر، منيعُ الوزَر، عزيزُ النَّفر، يُحمد منه الوردُ والصدر».

فقالت الثالثة: «إن أبي صدوقُ اللّسان، حديدُ الجنَان، كثير الأعوان، يُروّي السِّنان عند الطّعان». فقالت الرابعة: «إن أبي كريمُ النزال، مُنيف المنال،كثير النوال، قليلُ السؤال، كريمُ الفعال»[٣٣٤].

فمن حديث هؤلاء الفتيات نتبين أهم الصفات التي يحسن أن يتحلى بها الرجل وهي الكرم والشجاعة والعفة والحكمة، وحدة الذكاء، والعدل والوفاء، وهي صفات رآها أبو الفرج في شخص سيف الدولة فوصفه بأنه: «شِهابُ ذكاء، وطودُ وفَاء، وكعبةُ فضل، وغَمامةُ بذل، وحسامُ حق، ولسان صدق»[٣٣٥].

---

[٣٣٣] النووي، رياض الصالحين، ص٢٣١.

[٣٣٤] قصص العرب، ج٢/٧١ -٧٢.

[٣٣٥] الثعالبي، يتيمة الدهر، ٢/٧٧.

www.mtenback.com

وأجملت سفّانة صفات الرجل الفاضل في شخص أبيها حاتم، فقالت[٣٣٦]: «كان يَفُكُّ العاني، ويقتلُ الجاني، ويحفظُ الجار، ويحمي الذّمار، ويفرّجُ عن المكروب، ويطعمُ الطعام، ويُفشي السلام، ويحملُ الكل، ويُعين على نَوائب الدهر، ومَا أَتاهُ أحدُ في حَاجة فرده خائبًا» فلما سمع الرسول الكريم هذا الكلام، قال: «هذه صفات المؤمنين حقًا»[٣٣٧].

فما من شك في أن قيم الفضيلة تكتسب بالسلوك الحسن بين الناس والخلق الرفيع.

وما دمنا بصدد الحديث المطلق عن الرجل الفاضل، فأي صفات تراها الفتاة في الزوج الفاضل، وما فضيلة الزواج، هذه المؤسسة الاجتماعية التي يقوم صلاح المجتمع على صلاحها.

قالت عجوز من العرب، لثلاث من بناتها: صفن ما تحبين في الأزواج، فقالت الكبرى: أُريده أروعَ بسّامًا، أحذَّ مجذامًا، سيدَ ناديه، وثمالَ عافيه، يجيب راجيه، فناؤُه رحب، وقياده صعب.

وقالت الوسطى: أُريده عالي السّناء، مُصمم المضَاء، عظيم نارٍ، متمّم إيسار، يُفيد ويُبيد، ويبدي ويُعيد، وهو في الأهل صبي، وفي الجيش كمي، تستعبده الحليلة، وتُسوّده القبيلة.

وقالت الصغرى: أُريده بازل عام، كالمهنّد الصمصام، قِرانه حُبور، ولقاؤه سرور[٣٣٨].

---

[٣٣٦] قصص العرب، ١/١٨٢.

[٣٣٧] المصدر نفسه، ١/١٨٣.

[٣٣٨] القالي، أمالي القالي، ١/١٦.

www.mtenback.com

الأوصاف هذه كلها تشير بجلاء إلى حسن الجمع بين الكرم والقوة والسيادة واللطف والموادعة فهو رب الأسرة، وعليه المعول في خلق التربة الصالحة لتنشئة جيل صالح واعٍ، يتحلى بقيم الخير والحق والفضيلة، قادر على تحمل المسؤولية لبناء مجتمع تسوده قيم الفضيلة، وتنتفي عنه الرذيلة.

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

الفهارس

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس الآيات القرآنية

السورة	الآيـــة	رقمها	الصفحة
البقرة	﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلا... الآية﴾	١٥٢	٧٠
	﴿بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ... الآية﴾	١٥٥	٤٤
	﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا... الآية﴾	١٥٦-١٥٧	٤٤
	﴿يَا أُولِي الأَلْبَابِ... الآية﴾	١٩٧	١٨
	﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ... الآية﴾	٢٦١	٥٩
	﴿ومن يُؤتَ الحكمةَ فَقَدْ أُوتي خيراً كثيراً... الآية﴾	٢٦٩	١٧، ١٨
آل عمران	﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُو.. الآية﴾	١٨	٨٥
	﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ... الآية﴾	١٣٤	٢٣
النساء	﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الأَمْرِ... الآية﴾	٨٣	٨٥
	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ... الآية﴾	١٣٥	٦٦
المائدة	﴿وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا... الآية﴾	٨	٦٦
هود	﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ... الآية﴾	٣	٧
إبراهيم	﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ... الآية﴾	٧	٧١
	﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا... الآية﴾	٣٤	٧١
الإسراء	﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ... الآية﴾	٢٣-٢٤	٣٩
	﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً... الآية﴾	٣٤	٧٦
	﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ... الآية﴾	٣٦	٢٩
	﴿إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ... الآية﴾	٣٧	٤١
	﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً... الآية﴾	٧٠	٧، ٤١
مريم	﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا... الآية﴾	٤١	٣٣
النور	﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ.. وَقُلْ... الآية﴾	٣١-٣١	٣٣

www.mtenback.com

السورة	الآيـــة	رقمها	الصفحة
الفرقان	﴿الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا... الآية﴾	٦٣	٤١
لقمان	﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ... الآية﴾	١٥	٣٩
	﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ... الآية﴾	١٩	٤١
فاطر	﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ... الآية﴾	٢٨	٨٤
يس	﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلا وَنَسِيَ خَلْقَهُ... الآية﴾	٧٨	٤٠
الحجرات	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ... الآية﴾	٢	٨٠
	﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا... الآية﴾	١٢	٣٠
المجادلة	﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا... الآية﴾	١١	٨٥
الحشر	﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ... الآية﴾	٩	٥٥
الصف	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ... الآية﴾	٢-٣	٣٣
التغابن	﴿وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ... الآية﴾	١٤	٧٦
القلم	﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ... الآية﴾	٤	٨٨
المعارج	﴿إِنَّ الإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ... الآية﴾	٢٠	٤٥
المرسلات	﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ... الآية﴾	٢٠	٤٠
الانشراح	﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا... الآية﴾	٥-٦	٤٥

www.mtenback.com

فهرس الأحاديث

الحديث	الصفحة
«أدبني ربي فأحسن تأديبي...»	٨١
«إذا حدّث كذب...»	٧٦
«أنؤاخذ بما نقول....»	٣٠
«إنّ أحدكم لن يموت حتى...»	٤٢
«إنّ فيك خصلتين...»	٢٢
«إنما أنا أعبد آكل...»	٤١
«إنما مثل الجليس الصالح...»	٨٩
«إنّ من خياركم أحسنكم أخلاقًا...»	٩١
«الإيمان بضع وسبعون شعبة...»	٣٥
«أين أهل الفضل؟...»	٢٣
«خلقان يحبهما الله...»	٦٢
«عُذّبت امرأة في هرّة...»	٥٧
«فإنّ الله عز وجل...»	٦٨
«فضل المؤمن العالم على المؤمن العابد...»	٨٦
«فلتقل خيرًا أو لتصمت...»	٣١
«فالله كريم...»	٦٢
«لا يدخل الجنة من لا يأمن...»	٣٠
«لا يدخل الجنة نمام....»	٣٥
«لا يفضض الله فاك...»	٢٦
«اللهم أغنني بالعلم...»	٢٣
«لقد عجب الله من صنيعكما....»	٥٥

www.mtenback.com

الحديث	الصفحة
«ما تواضع أحد لله...»	٣٩
«ما الدين؟ قال: حسن الخلق....»	٨٧
«من ظلم معاهدًا....»	٦٧
«من كظم غيظًا....»	٢٣
«هذه صفات المؤمنين حقًا....»	٩٢
«يا عبادي إني حرّمت الظلم....»	٧٠
«يشفع يوم القيامة ثلاثة....»	٨٦

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس الأشعار

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
		ـ ء ـ		
فلا والله	الحياء	أبو تمام	٢	٣٦
أأذكر	الحياء	أمية بن أبي الصلت	٢	٣٧
إذا رزق	يشاءُ	علي بن الجهم	١	٣٨
ما الفضل	أدلاء	علي بن أبي طالب	٢	٨٦
إذا جاريت	سواء	أبو تمام	١	٨٨
حياءك	حياؤه	ـ	٢	٣٦
إذا ما كنت	إخاء	ـ	٣	٢٠
وجرّبنا	الوفاء	علي بن الجهم	١	٧٩
		ـ ب ـ		
كيف تريد	ركوب	ـ	٢	١٨
من يسأل	يخيبُ	عبيد بن الأبرص	١	٤٣
إذا جادت	تتقلبُ	علي بن أبي طالب	٢	٥٧
أضاحك	جديب	حاتم الطائي	٢	٦٠
ألا قل	الأدب	ـ	٢	٤٦
أنا الجار	باب	أبو فراس الحمداني	١	٦٢
فإني لعفّ	اغتيابها	بشار بن بشر	٣	٣٤
إذا أكمل	مآربه	علي بن أبي طالب	١	١٨
نريحُ	أغربوا	خفاف بن مالك المازني	١	٢٧
سأغسل	جالبا	سعد بن ناشب المازني	٣	٥١
العلم	الأدبا	أبو الأسود الدؤلي	٢	٨٣

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
فما الحداثة	الشيب	المتنبي	١	٢٨
من لي	جوابه	أبو تمام	٣	٢٧
		ـ ت ـ		
وفيتُ	وفيت	السموءل	١	٧٧
زن بالتواضع	السيادات	ابن خاتمة الأنصاري	١	٤٠
لما عفوت	العداوات	الإمام الشافعي	١	٧٦
		ـ ح ـ		
لا خير	سراحا	النابغة الذبياني	٢	٢١
		ـ د ـ		
فأقسمت	يغرّدُ	حاتم الطائي	٢	٣٤
إذا المرء	شديدُ	ـ	١	٨١
إن يحسدوني	حسدوا	ـ	١	٤٧
تعوّد	استعادا	جرير	١	٨٩
وإني لعبد	العبدا	المقنع الكندي	١	٤٠
خفّف	الأجساد	أبو العلاء المعري	١	٤١
إني حسدت	محسود	معن بن زائدة	٢	٤٧
كم ردّ	مولودِ	خليل مطران	٣	٥٨
تجودُ	الجودِ	صريع الغواني	١	٦٤
إذا ما صنعت	وحدي	حاتم الطائي	٢	٦١
		ـ ر ـ		
إنّ الحديث	مضمارُ	ـ	٢	٢١
عفافك	قادرُ	أبو فراس الحمداني	١	٢٨

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
ما ضرّ	سترُ	مسكين الدارمي	٢	٣٤
إذا حرم	جديرُ	العرجي	١	٣٦
الصبر	الضررُ	الأحوص	١	٤٤
اصبر	تدبيرُ	علي بن أبي طالب	٢	٤٥
إذا أنا	فلا شكر	معاوية بن أبي سفيان	١	٧٠
لا تحمدن	الخبر	—	١	٧١
زاد معروفك	حقير	الخريمي	٢	٧٢
لا يحسن	شكرا	صفي الدين الحلي	١	٢٦
ولا خير	يكدرا	النابغة الجعدي	١	٢٦
تخالهم	التهاجر	—	٢	٣٧
ومن لم	الفخر	أحمد شوقي	١	٤٠
لا تطلب	يبهر	أبو العلاء المعري	٢	٤٢
ويوم	الجمر	نهشل بن حري	٢	٤٦
السر	ستر	زهير بن أبي سلمى	١	٥٤
ومن يصنع	عامر	—	١	٧٣
أرى العفو	القماطر	معاوية بن أبي سفيان	٣	٧٥
هذا وإن	جاري	—	٢	٧٩
إذا عثر	عُثر	—	٢	٧٥
— س —				
من يفعل	الناس	الحطيئة	١	٧٢
العلم	المغرس	الشافعي	٢	٨٤
ترك	آس	أحمد شوقي	١	٨٤

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
		ـ ع ـ		
وإني ليثنيني	أربع	أبو الأسود الدؤلي	٢	٣٨
والنفس راغبة	تقنع	أبو ذؤيب الهذلي	١	٤٢
إذا كشف	باعا	عنترة بن شداد	٢	٤٩
		ـ ف ـ		
إذا سست	تتخوف	علي بن أبي طالب	١	٦٩
ليس الظريف	عفيفا	أبو عبد الله بن إبراهيم	٢	٢٩
لا تمش	بإنصاف	أبو العتاهية	١	٦٩
		ـ ق ـ		
إني لأعرض	حمقا	ـ	٢	٢٥
استق	مستقي	القروي	١	١٩
فإذا رزقت	الأرزاق	حافظ إبراهيم	١	٨٩
		ـ ك ـ		
إن الحكيم	يمتسك	جميل صدقي الزهاوي	١	٢١
لا تهتكن	مساويكا	ـ	٢	٣١
إن كان	يغنيكا	أبو العتاهية	١	٤٣
من رزق	الفلك	أسامة بن منقذ	١	٤٤
		ـ ل ـ		
وعاقبة	مستعجل	البحتري	١	٤٥
وما مات	قتيل	ـ	٢	٤٨

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
لا خير	عقول	المتنبي	١	٥٢
أخي ثقة	نائله	زهير بن أبي سلمى	٣	١٢
فلو لم	سائله	أبو تمام	١	١٣
يموت	الرجل	جعفر بن محمد بن علي	٢	٣٢
أتاني	طويل	حاتم الطائي	٤	٥٤
والمرء	بفعاله	أحمد شوقي	١	٣٢
إذا جدت	أحوالا	ابن خاتمة الأنصاري	٢	٥٩
يرى	سبلا	حاتم الطائي	٢	٦١
وإذا أصيب	عويلا	أحمد شوقي	١	٩٠
وغذا الغنى	كمل	ابن عبد ربه	١	٥٥
		ـ م ـ		
وإذا كانت	الأجسام	المتنبي	١	١٥
يغضي	يبتسم	الفرزدق	١	٣٦
حملت	البراجم	عبد قيس بن خفاف	٢	٥٤
وما ابن	الكلم	أبو تمام	١	٦٠
أشدّه	تصطلم	أبو فراس	٢	٦٤
تحلّم	تحلّما	حاتم الطائي	١	٢٤
ومخرّق	سقيما	ليلى الأخيلية	٢	٣٧
أبو أن	سلّما	ـ	٢	٥٠
لن يدرك	لأقوام	ـ	٢	٢٥
إني ليمنعني	ذي وصم	الأسيدي	٢	٢٦
ولا عفة	الفم	المتنبي	١	٣٠

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
مُتْ	الكلام	أبو نواس	٢	٣٢
والصدق	وجوم	أحمد الكيواني	١	٣٢
اصدق	كاذبًا وقم	المعري	١	٣٣
والنفس	ينفطم	ــ	١	٤٢
وكلّ	الحكيم	المتنبي	١	٥٢
ولم تزل	ذوي رحم	المتنبي	١	٦٩
ومن يك	ويذمم	زهير بن أبي سلمى	١	٧٣
صلاح	تستقم	أحمد شوقي	١	٨٩
إذ يتقون	مقدمي	عنترة بن شداد	١	٥٣
فإن تعفُ	محارمي	عبد الله بن هاشم	١	٧٥
ــ ن ــ				
إن تبتدر	المصلينا	بشامة بن الغدير	٢	٥٠
قومٌ	وحدانا	قريط بن أنيف	٣	٥٠
وإذا لم يكن	جبانا	المتنبي	١	٥١
إن الشجاع	جبانا	أحمد شوقي	١	٥٢
ليس الكريم	الثمنا	ابن الرومي	٢	٦٣
هيهات	دين	الشريف الرضي	١	١٩
ما أحسن	طين	علي بن أبي طالب	١	٥٩
أفسدت	بمنان	ــ	١	٧٣
الرأي	الثاني	المتنبي	١	٢٢
لا خير	عيونه	أبو العتاهية	٢	٣١
أيها المرء	منه	عبد الله بن معاوية	٢	٣١

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
ـــ هـــ ـــ				
أشد	سواها	عباس بن مرداس	١	٥٣
إنّ المكارم	ثانيها	علي بن أبي طالب	١	٨٨
من ظن	بالله	محمود الوراق	١	٥٨
الفضل	الصنيعة	علي بن أبي طالب	٣	١١

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس الأمثال

المثـــل	الصفحة
«أنّى يكون الشجاع حكيمًا؟»	٥٢
«إنّ الجواد خفيف»	٥٩
«البوم البشوش خير»	٦٠
«التواضع مع السخافة»	٤٠
«الشجاع محبب إلى من يحاربه»	٤٨
«العفو من موجبات الكرم»	٧٥
«علم بلا عمل كشجرة بلا ثمرة»	٨٧
«لا تعمل شيئًا في السر»	٥٣
لا تهرف بما لا تعرف»	٧١
«لا حُرّ بوادي عوف»	٧٤
«لا خير في الرأي الفطير»	٢١
«ليس العاقل الذي...»	٢١
«ما أشدّ فطام الكبير»	٨١
«مقتل الرجل بن فكّيه»	٣١
«من أدّب ولده غمّ حاسده»	٨١
«من عفّت أطرافه، حسنت أوصافه»	٣٠
«الندم على السكوت خير من...»	٣٢

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

المصادر والمراجع

إبراهيم حافظ إبراهيم:

الديوان: ضبطه وشرحه أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الأبياري، بيروت، ١٩٦٩م.

ابن الأبرص عبيد بن الأبرص:

الديوان، تحقيق: د. حسين نصار، ط ١، مصر، ١٣٣٧هـ/١٩٥٧م.

الأخيلية ليلى عبدالله الأخيلية:

الديوان، تحقيق: خليل العطية وجليل العطية، بغداد، ط٢، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

الأصبهاني الراغب الأصبهاني:

محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء، القاهرة، ١٣٢٦هـ.

الألباني محمد الألباني :

صحيح الجامع اصغير وزيادته الفتح الكبير: أشرف على طبعه:زهير الشاويش، بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ/٩٨٦م.

الأنصاري عبدالله بن محمد بن عاصم، الأحوص:

الديوان، تحقيق: د. سعدي طنّاوي، دار صادر، بيروت، ١٩٩٨م.

الأنصاري بن خاتمة أحمد بن علي الأندلسي:

الديوان، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، دمشق، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.

البحتري الوليد بن عبيد الله الطائي:

الديوان، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، مصر، ط ٣، د.ت.

www.mtenback.com

بدوي د. عبدالرحمن بدوي:

الأخلاق النظرية، الكويت، ط١، ١٩٧٥م.

البستي أبو الفتح علي بن محمد:

الديوان، تحقيق: درية الخطيب ولطفي الصقال، طبع: مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.

البغدادي عبدالقادر بن عمر:

خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق: عبدالسلام هارون، مصر ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

أبوتمام حبيب بن أوس الطائي:

الديوان، تقديم وشرح: د. محي الدين صبحي، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.

ابن ثابت حسان بن ثابت:

الديوان، تحقيق: د. وليد عرفات، دار صادر، بيروت، ١٩٧٤م.

الثعالبي عبدالملك بن محمد بن إسماعيل:

يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر،بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ/١٩٧٣م.

الجاحظ عمرو بن بحر:

البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة، ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م.

جاد المولى، محمد أحمد وآخرون:

قصص العرب، ط٣، ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م.

www.mtenback.com

جرير بن عطية الخطفي:

الديوان، تحقيق: محمد إسماعيل الصاوي، دار الأندلس، بيروت، د.ت.

جميل بن معمر العذري:

الديوان، تحقيق: د. حسين نصار، مصر، ط ٢، ١٩٦٧م.

الجوهري معجم الصحاح في اللغة والعلوم:

تجديد صحاح العلامة الجوهري، تقديم الشيخ عبدالله العلايلي إعداد: نديم مرعشلي، وأسامه مرعشلي، بيروت، ط١، ١٩٧٤م.

ابن حزام عروة بن حزام:

الديوان، تحقيق: أنطوان محسن القوّال، دار الجليل، بيروت، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

أبو الحسن علي بن الجهم:

الديوان، تحقيق: خليل مردم بك، بيروت، ط٢، د.ت.

الحصري إبراهيم الحصري:

زهر الآداب وثمر الألباب، تحقيق: زكي مبارك و محمد محي الدين عبدالحميد، دار الجليل، بيروت، ط٤، د.ت.

الحطيئة جرول بن أوس:

الديوان، شرح ابن السكيت والسجستاني، تحقيق: نعمان أمين طه، مصر، ط١، ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م.

الحلي صفي الدين الحلي عبدالعزيز بن سرايا:

الديوان، ضبط: د. عمر الطباع، دار الأرقم، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

www.mtenback.com

الحمداني أبو فراس الحمداني الحارث بن سعيد:

الديوان، تحقيق: د. محمد ألتونجي، نشر المستشارية الثقافية الإيرانية، دمشق، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.

الخريمي إسحاق بن حسان:

الديوان، تحقيق: علي جواد الطاهر، ومحمد جبار المعيبد، دار الكتاب الجديد، ط١، ١٩٧١م.

ابن الخطيم قيس بن الخطيم:

الديوان، صنعة ابن السكيت، تحقيق: د. ناصر الدين الأسد، مصر، ط١، ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م.

الخنساء تماضر:

الديوان، دار التراث، بيروت، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

الخوري رشيد سليم الخوري:

الديوان، دار الميرة، بيروت، ١٩٧٨م.

دعبل بن علي الخزاعي:

الديوان، تحقيق: عبد الصاحب عمران الرحيلي، بيروت، ط٢، ١٩٧٢م.

الدؤلي أبو الأسود الدؤلي ظالم بن عمرو:

الديوان، صنعة أبي سعيد السكري، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، بيروت، ط١، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

ابن ذريح قيس بن ذريح:

الديوان، تحقيق: د. عفيف حاطوم، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٨٢م.

www.mtenback.com

ابن ربيعة لبيد بن ربيعة العامري:

الديوان، تحقيق: د. إحسان عباس، الكويت، ١٩٦٢م.

ابن الرومي العباس بن جريج:

الديوان، تحقيق: د. حسين نصار، مصر، ط٢، ١٩٩٣م، ٦ أجزاء.

الزهاوي جميل صدقي الزهاوي:

الديوان، دار العودة، بيروت، ١٩٧٢م.

أبو سفيان معاوية بن أبي سفيان:

الديوان، تحقيق: د. فاروق أسليم بن أحمد، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

أبو سلمى زهير بن أبي سلمى:

الديوان، صنعة الأعلم الشنتمري، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، حلب، ط١، ١٣٩٠هـ.

السيوطي جلال الدين السيوطي:

الجامع الصغير من حديث البشير النذير، تحقيق: عبدالله محمد الدرويش، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

الشافعي محمد بن إدريس:

الديوان، جمع وشرح: نعيم زرزور، بيروت ط١، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

شامي د. يحيى شامي:

موسوعة شعراء العرب، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

شوقي أحمد شوقي:

الديوان، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، د.ت.

www.mtenback.com

صريع الغواني مسلم بن الوليد:

الديوان، تحقيق: د. سامي الدهان، دار المعارف، مصر، د.ت.

أبو الصلت أمية بن أبي الصلت:

الديوان، تحقيق: د. عبدالحفيظ السطلي، دمشق، ١٩٧٤م.

صليبا د. جميل صليبا:

المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٧٩م.

الضبّي المفضل بن محمد الضبّي:

كتاب أمثال العرب، تحقيق: د. إحسان عباس، بيروت، ١٤٠١هـ/١٩٨٨م.

الطائي حاتم بن عبدالله بن سعد الطائي:

الديوان، شرح: إبراهيم الجزيفي، دار الكاتب العربي، بيروت، ١٩٦٨م.

الطبراني الحافظ الطبراني:

المعجم الأوسط، تحقيق: د. محمود الطحان، الرياض، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

أبو طالب علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي:

الديوان، شرحه نعيم زرزور، بيروت، ١٩٨٥م.

الطويل د. توفيق الطويل:

فلسفة الأخلاق نشأتها وتطورها، القاهرة، ط ٩، ١٩٩١م.

ابن عبد ربه أحمد بن محمد الأندلسي

العقد الفريد، تحقيق: أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

www.mtenback.com

عبدالرحمن حنبكة:
العقيدة الإسلامية وأسسها، دار القلم، دمشق، ط ٧، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

العبسي عنترة العبسي:
الديوان، تحقيق: خليل شرف الدين، بيروت، ١٩٨٨م.

أبو العتاهية إسماعيل بن القاسم:
الديوان، أشعاره وأخباره، تحقيق: د. شكري فيصل، طبع: جامعة دمشق، ١٣٨٤هـ/١٩٦٥م.

العرجي عبدالله بن عمر القرشي:
الديوان، رواية أبي الفتح عثمان بن جني ت ٣٩٢هـ، شرح: خضر الطائي ورشيد العّبيدي، بغداد، ط ١، ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م.

العسكري أبو هلال، الحسن بن عبدالله بن سهل:
جمهرة الأمثال، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وعبدالمجيد قطاش، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

الغزالي أبو حامد الغزالي:
إحياء علوم الدين، بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، وكتاب ملحق إحياء علوم الدين، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

أبو الفتح كشاجم محمود بن محمد بن الحسين:
الديوان، تحقيق: د. النبوي عبدالواحد شعلان، مصر، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

الفرزدق همام بن غالب بن صعصعة التميمي:
الديوان، دار صادر، بيروت، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م.

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com